جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج -
كلية اللغات والأدب العربي
قسم :الأدب العربي

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماجستير تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

العنوان:

استدعاء التراث في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني

من إعداد الطلبة:

- جندي خليصة
- جندي صبيرة

إشراف الأستاذ(ة):

سعودي أمال

أعضاء لجنة المناقشة :

1-قصابي صليحة	جامعة برج بوعريريج	رئيسا
2-سعودي امـــال	جامعة برج بوعريريج	مشرف-مقرر
3-سعدلي سليم	جامعة برج بوعريريج	ممتحنا

السنة الجامعية : 2021/2020

الحمد لله الذي تتم بنعمه الصالحات

أهدي ثمرة جهدي الى النبراس الذي أنار دروب حياتي

الى السند الذي لا يعرف الانكسار العزيز على قلبي ابي

حفظه الله من كل سوء وأطال في عمره

أمي التي سقتني بماء الحنان حتى أزهر في العلم كالبستان

الى التي تصلح بكلمات تبعث في القلب الأمان الى تلك الجنة

التي أخجل ان اصفها خوفا ان لا أفي بحقها

قرة عيني ونور حياتي أمي الغالية

أطال الله في عمرها واكساها رداء العافية

شكر و عرفان

أول من يشكر ويُحمد آناء الليل و أطراف النهار
هو العلي القهار الأول والآخر والظاهر والباطن
الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى ،وأغدق علينا برزقه الذي لايفنى
وأنار دروبنا ،فله جزيل الحمد والثناء العظيم
هو الذي أنعم علينا إذ أرسل فينا عبده ورسوله "محمد ابن عبد الله"
عليه أزكى الصلوات وأطهر التسليم ،أرسله بقرآنه المبين
فعلمنا مالم نعلم وحثنا على طلب العلم أينما وجد .
لله حمد كله والشكر كله أن وفقنا وألهمنا الصبر على المشاق
التي واجهتنا لإنجاز هذا العمل المتواضع
والشكر موصول إلى كل معلم أفادنا بعلمه
من أولى المراحل الدراسية حتى هذه اللحظة
كما نرفع كلمة شكر إلى الدكتورة المشرفة " سعودي أمال"
التي ساعدتنا على إنجاز بحثنا .
ونشكر أساتذة التربص الميداني ،الذين لم يخلو علينا
بنصائحهم وإرشاداتهم .
كما نشكر كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد
من الأهل و الأصدقاء
وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ندعو الله أن يرزقنا السداد والرشاد
وأن يجعلنا هداة مهتدين .

جندي خليصة
جندي صبيرة

Ramstarab.com

مقدمة

مقدمة :

إن التراث إبداع فكري متميز يمثل روح الأمة ونبض وجودها وهويتها ، حيث يعتبر ذلك المخزون الحضاري و الثقافي الزاخر بتلك الثروة التي يرثها الخلف عن السلف ضمن امتداد لتلك الصلة الزمنية المرتبطة بذلك الماضي السحيق و المتطور في الحاضر و المستقبل ، حيث أن التواصل مع التراث وإعادة بعثه من جديد هو الذي يحقق للأمة وجودها الفعلي و الحقيقي .لذلك راح كثير من الأدباء والمبدعين ينهلون من هذا التراث ويوظفونه في أعمالهم الأدبية ، محيين فيها القديم وباعثين فيه روح التجديد، آخذين من هذه الثروة الفكرية مصدرا لإلهامهم وما يخدم واقعهم وزمانهم ،و عقائدهم وخاصة موضوعاتهم ، حيث أصبحت العودة إلى التراث ملحة وضرورية قصد الاستفادة منه .ويعد الروائي الليبي "إبراهيم الكوني "أحد أبرز وأهم المهتمين بالتراث ولذا إرتئينا أن يكون عنوان المذكرة "تجليات التراث في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني " ومن أسباب اختيارنا للموضوع رغبتنا في دراسة جمالية التراث ومدى حضوره في الرواية العربية المعاصرة وبالضبط في رواية إبراهيم الكوني ، وانطلاقا مما سبق فقد أردنا من خلال بحثنا هذا التركيز على أنواع التراث التي وظفها الكوني في روايته نزيف الحجر ،منطلقين من تساؤلات مفادها- :ماهي بواعث توظيف التراث في الرواية العربية ؟ -ما هي أبرز أنواع التراث التي ركز عليها إبراهيم الكوني ؟ وللإجابة على هذه التساؤلات عقدنا خطة تتمثل في مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة .ففي المدخل تطرقنا إلى مفهوم الرواية لغة واصطلاحا ،ثم نشأة الرواية في الأدب العربي أما الفصل الأول تطرقنا إلى مفهوم التراث لغة واصطلاحا ،ثن تطرقنا لمفهومه في الفكر المعاصر ،ثم خضنا في أسباب وبواعث توظيف التراث وصولا إلى تجليات التراث في الرواية العربية المعاصرة .أما الفصل الثاني خصصناه للجانب التطبيقي الذي بدأنا بتلخيص وجيز للرواية "نزيف الحجر"يليها مباشرة تحليل واستقراء الرواية ومحاولة استنطاق ما تتوفر عليه من تراث وهي: التراث الديني ، التراث الأسطوري ، التراث التاريخي ،التراث الشعبي ،التراث الصوفي ،والتراث الأدبي ،وقد أنهينا هذين الفصلين بخاتمة لتكون آخر خطوات البحث وذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث بالإضافة إلى ملحق يتضمن سيرة ذاتية لإبراهيم الكوني .متبعين في ذلك كل من المنهج التاريخي وكذا المنهج الوصفي التحليلي كونه يتناسب مع موضوع البحث .واعتمدنا في انجازها على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها

- :إبراهيم الكوني :رواية نزيف الحجر -محمد رياض وتار :توظيف التراث في الرواية العربية المعاصر -علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر -حسن حنفي :التراث والتجديد .وقد واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها: صعوبة التعامل مع التراث لاتساع مجالاته وصعوبة حصره وتحديد أنواعه في الرواية نظرا لأسلوب الكاتب وأفكاره العميقة الموحية .وفي الختام نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة سعودي أمال على إشرافها على هذا العمل وتحملها لنا وإرشاداتها من أجل إخراج هذا العمل في صورته النهائية.

مدخل

مدخل

إن الرواية من الأجناس الأدبية التي انصبت فيها قرائح الكُتاب حيث عبروا فيها عن مآسي الشعوب والآمال الطامحة ، فكانت من أهم الوسائل الأدبية التي تلامس الإحساس القارئ وقد اشتملت على مواضيع كثيرة في شتى الميادين الرواية

أ_لغة

الرواية العربية من مادة رويّ وهي بكسر الياء من روي الماء ومن اللبن يروي ريًا ويقال الناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل والريان ضد العطشان فقد روي عند ابن سيده :"وروي النبت وتروي تنعم ونبّت ريانُ وشجر رواء."[1] قال الجوهري:" رويت الحديث والشعر رواية فأنا راوي ،وفي الماء والشعر من القوم رواة ،ورويته الشعر ترويه أي حملته على رواتيه وأرويته أيضا"[2]وقال:"ابن الأثير :"هي جمع رواية وهو ما يروي الإنسان في نفسه من القول والفعل أي يزور ويفكر "[3]ونتا تدل على نقل الخبر واستظهاره بين العامة من الناس فالمدلولات اللغوية المشتركة للرواية تدل على عملية الانتقال والإرتواء النادي أو الروحي للنصوص

ب-اصطلاحا:

لقد تعددت التعاريف التي انصبت على الرواية نذكر منها ":الرواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية تستعير معمارها من بنية المجتمع ، وتفسح مكانا للتتعايش فيه الأنواع والأساليب كما يتضمن المجتمع و الجماعات والطبقات المتعارضة"[4] ومن خلال هذا التعريف نجد أن الرواية تتناول جملة من المواضيع التي يعالجها الأديب في إطار روايته وبهذا فهو يعرض الجوانب المسكوت عنها محاولا التعبير والوصول إلى المثالية وهذا ما إشترك فيه جل الكتاب بالإضافة إلى الجانب الشكلي الرواية التي تتسم بالطول، وهكذا فقد عبرت عن الفرد والجماعة التي حفزته على الإبداع كما يعرفها إي إم فورستر " E. M Forsterالرواية كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد ،إنها بكل وضوح تلك المنطقة الأكثر رطوبة ونداوة في الأدب حيث ترويها آلاف الجداول وتنحط أحيانا لتصبح مستنقعا

[1]أبي الغضب جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ،لسان العرب المجلد 14،فصل الألف الى الصادق من حرف الواو والياء ،ح ط ،دت ، دار صادر – بيروت .د ت ص 345

[2]ابن منظور :لسان العرب .مادة رويّ.ص 348

[3]ابن منظور :المرجع نفسه.مادة رويّ.ص 350

4صالح مفقودة :أبحاث في الرواية العربية ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ،قسم الأدب العربي ،منشورات مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ،دط ،دت ،ص5

أسنا"[1] ومن خلال هذا نجد أن الرواية تتداخل فيها العديد من الأجناس الأدبية كالقصة والحكاية ، يجد المبدع فيها ظالته كونها مجالا مفتوحا تتراءئ فيها الأفكار و التوجهات فيعبر بكل حرية ،وهذا ما يجعل الرواية ملمة لتلك الروافد والمصادر التي استقى منها المبدع مادته ،كالتاريخ و الدين و التراث والأسطورة ،لتنصهر في بوتقة واحدة داخل النص الروائي كما تعرف أيضا بأنها سرد قصصي نثري طويل ليصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال و المشاهد.[2] أي أن الرواية نمط سردي تتميز بطول الحجم وتتضمن شخصيات ينسجها الراوي من وحي الخيال أو قد تكون واقعية تقوم على جملة من الأحداث و الوقائع في إطار زمان ومكان محدد بلغة راقية مؤثرة تجذب القارئ وتستمياه إليها " .وتعرف الرواية أيضا بأنها الشكل الأدبي الأكثر دلالة فيه المجتمع البرجوازي "[3] وهذا يعني أنها تعبر عن واقع الطبقة البرجوازية وما تمارسه على تلك الجبقة العمالية الكادحة التي لا تجد قوت يومها ،فنجدها ترسم ذلك التناقض داخل النص موضحة إيديولوجية الكاتب "و الرواية عمل سردي مطول نسبيا معقد التركيب والبناء وقائم على تقنيات الكتابة المعروفة ،فهي إبداع خيالي نثري ،يقوم على رسم الشخصيات ثم تحليل نفسياتها و أهواها وتقصي مصيرها و وصف مغامراتها "[4] هذا يعني أن الرواية جنس أدبي تقوم على عناصر أساسية تتمثل في :الشخصيات ،الزمان،المكان،الأحداث واللغة التي تتداخل فيما بينها مشكلة بذلك الوجود الفعلي والحقيقي لجنس الرواية.

1روجر آلن :الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية ،ترجمة إبراهيم المنيف ،المجلس الأعلى للثقافة ،المشروع القومي للترجمة ،1997،ص20

2إبراهيم فتحي :معجم المصطلحات الأدبية ،دط ،الثلاثية الأولى ،تونس التعاضدية العمالية ، المؤسسة العربية لناشرين المتحدين ،1986،ص176

3جورج لوكاتش :نظرية الرواية وتطورها ،ترجمة نزيه الشوفي ،دط،دمشق ،1987،ص15

4عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ،دط ،دار المعرفة ،الكويت ،شعبان 1998، ص24-25

نشأة الرواية في الأدب العربي:

لقد كانت نشأة الرواية في أدبنا العربي مواكبة لبداية عصر النهضة حيث ارتبط العرب بالغرب نتيجة التجور الحاصل في المجتمع الغربي خاصة في ميدان الإبداع الأدبي ، فقد نشأة الرواية نشأة غربية وارتبطت بالملحمة والمسرحية لتنتقل بذلك إلى البيئة العربية لتصبح مصدر الإلهام لدى المبدعين العرب وبهذا كانت الرواية وليدة الالتقاء بين كل من الغرب بعلومهم و ثقافتهم من جهة وبين إعادة اكتشاف وإحياء التراث العربي من جهة أخرى .غير أنه تضاربت الآراء حول نشأتها فهناك من يرى بأنها غربية بحتة وتمثلت في :(ترجمة العديد من الكتابات القصصية الأوربية إلى اللغة العربية ،ومن ثمة اقتباس هذه الأعمال وبعد ذلك تقليدها)[1] فقد تأثر العرب بالغرب من خلال الاحتكاك بينهم وهذا ما أدى إلى نقل علومهم إلى العرب ،فقد نقلت كل من القصة ،المسرحية ،الملحمة بالإضافة إلى الرواية .ومن مؤيدي هذا الطرح نجد "إسماعيل أدهم"الذي يفسر الأدب القصصي بأن في القرن 20 منقطع عن الأدب العربي في بنيته التاريخية ويراه شيئا جديدا أوجده الاتصال بالغرب"[2]

" وبهذا فهو يؤكد على أن الرواية فن مستورد من الثقافة الغربية ولا وجود لها في الأدب العربي كما يؤيده "بطرس خلاق" الذي يقول لا يختلف إثنان في أن الرواية العربية نشأة في العصر الحديث فنا مقتبس من الغرب أو متأثرا به تأثرا شديدا"[3]

غير أن هناك رأي آخر أن الرواية العربية وليدة المسرودات العربية التراثية (من مقامات وتراجم وكتب وسير شعبية)[4] وهذا يعني أن الرواية لها جذور ضاربة في أدبنا العربي حيث أنه يزخر بجملة من القصص و السير التي تمجد البطولات مثل سيرة عنترة بن شداد و السيرة الهلالية و سيرة سيف بن ذي يزن وهذا ما شكل تراثا يستقي منه الأدباء ،وهو نوع قصصي يسرد بطولات و مغامرات هذا الأخير الذي يشترك مع الرواية في سمة الطول وهناك من يرى أن " الرواية لها جذور وأصول في الأدب العربي الذي عرف هذا الفن ممثلا في بعض ما جاء مبثوثا في كتب الجاحظ وابن المقفع ومقامات بديع الزمان الهمذاني و الحريري" [5] فقد كانت كتابات هؤلاء بمثابة نموذج

---

1 روجر آلن :الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية ،ترجمة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة ،المشروع القومي للترجمة،1997،ص32

2 صالح مفقودة :أبحاث في الرواية العربية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،دط ،دت ،ص7

3 صالح مفقودة :أبحاث في الرواية العربية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،دط ،دت ،ص7

4 بهاء الدين محمد مزيد :النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها ،ط1،العلم و الإيمان للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ،2008،2007 ص 19.

5 مفقودة صالح: نشأة الرواية العربية في الجزائر ،مجلة المخبر ،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ،ص 7

قصصي راقي استلهم منه الأدباء الغرب ونسجوا على منواله ،فقد أخذوا وترجموا تلك الأعمال .ومن خلال هذا يمكن القول أن الرواية قامت على أسس ومنجهية علمية عند الغرب ومضمونها القصصي عربي.

فالرواية عند العرب قد مرت بمراحل حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن : فقد بدأت في البداية بالتاريخ ، حيث ظهرت الرواية التاريخية التي تأخذه كمادة لها، وبعدها حاولوا التأسيس للرواية الفنية ،فقد اختلف الدارسون حول الرواية الناجحة التي تتسم بالفنية ومن ذلك .ما برهنت عليه "بثينة شعبان "1999، التي ذهبت إلى أن الرواية العربية الأولى هي رواية "حسن العواقب أو غادة الزهراء " للكاتبة اللبنانية "زينب فواز "وأن هذه الرواية قد نشرت عام 1899، أي قبل خمسة عشر عام من صدور رواية "زينب "لحسين هيكل ، وبالإضافة إليها صدرت رواية قلب الرجل "للكاتبة لبيبة هاشم و حسناء سالونيك للكاتبة لبيبة ميخائيل ، وأكثر من ستة روايات للكاتبة عفيفة كرم من أشهرها :بديعة وفؤاد و غادة عمشيت وكل هذه الروايات صدرت قبل صدور رواية "زينب لحسين هيكل "[1] حيث اختلفت الآراء حول الرواية التي بلغت النضج فهناك من يرى أن رواية زينب هي أول رواية قامت على أسس فنية ،لتبلغ الرواية أوجها مع الكتاب أمثال:نجيب محفوظ ،طاهر وطار ،واسيني الأعرج ،إبراهيم الكوني ،المازني ، محمود العقاد .....فكانت الرواية تتناول مشاكل الحياة وتواكب الواقع المعاش نظرا لما عايشته الدول إبان الاستعمار الذي خلف دمارا شاملا ،فاتجهت الكتابات لفضح المستعمر والوقوف إلى جانب الفئة المستضعفة وإحياء البطولات.

1 بهاء الدين محمد مزيد :النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها ،العلم والإيمان للنشر و التوزيع ،منتدى دار الأزبكية ،2008،2007، ص 35.

الفصل الأول

في التراث وبواعث توظيفه

مفهوم التراث:

لغة: الأصل في كلمة تراث heritage ورث،"وتدل مادة ورث في معاجم اللغة العربية على المال الذي يورثه الأب لأبنائه "[1] ولقد إستخدم القرآن الكريم كلمة "تراث"بالمعنى نفسه الذي ورد في معاجم اللغة أي المال وذلك في قوله عزوجل ":وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿ **19**﴾"[2]

وقد جاءت كلمة "الوارث " في القرآن الكريم صفة من صفات الله عزوجل حيث قال سبحانه وتعالى" : وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين﴿**28**﴾ " [3] أما الميراث فقد ورد في قوله تعالى" : ولله ميراث السماوات والأرض"﴿ **180**﴾ 4 وقوله تعالى : ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴿ **2-3**﴾ [5] وقوله تعالى ": يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " ﴿ **6**﴾[6].

اصطلاحا

:إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي ،فإنهم يختلفون بعد ذلك في تحديد وهذا الماضي .يذهب العديد من الباحثين إلى الجزم بأن التراث هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد و يعرف التراث على هذا الأساس بأنه " كل ما ورثناه تاريخيا "[7] وفي الإطار نفسه إبان الحديث عن التراث ومحاولة رصد مفهوم جامع كاف ليحمل ما يفيده المصطلح فمنهم من يقول بأن التراث " : كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة "[8] أي أن التراث هو كل فكرة قديمة تماشت مع العصر الراهن ولقد عرفه الدكتور "محمد عابد الجابري بأنه : الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية ،العقيدة ، الشريعة و اللغة والأدب و الفن ، الكلام ، الفلسفة والتصوف " [9] أي أن التراث العربي هو مظلة يتسع لمختلف جوانب من عقائد دينية و فلسفية و غيرها . ولقد أضاف "فهمي جدعان " إلى ما أقر به عابد الجابري من الجانبين الاجتماعي كالعادات والتقاليد والمادي

1إبن منظور :لسان العرب ،مادة ورث ،بيروت ،لبنان ،ص 189

2القرآن الكريم :سورة الفجر ،الآية 19

3سورة آل عمران ، الآية 180 القرآن الكريم :سورة الأنبياء ، الآية 28

4سورة فاطر ، الآية 32

5سورة مريم ،الآية 6

6فهمي جدعان : نظرية التراث ،ط1 ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،1985 ،ص 16، 19

7حسن حنفي : التراث والتجديد ،ط1 ،دار التنوير ، بيروت ،1981 ،ص 45

8محمد عابد الجابري : التراث و الحداثة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المغرب ، 2011 ،ط5 ،مجلد 1 ، ص 30

9فهمي جدعان : نظرية التراث ، ط1 ،دار الشروق للنشر والتوزيع ، 1985، ص18

كالعمران " وفي سياق آخر يعرف التراث بأنه: ما تراكم خلال الأزمنة من عادات و تقاليد وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب " بمعنى أن التراث مرتبط بما خلفه الإنسان من عادات وتقاليد.

تعريف التراث في الفكر العربي المعاصر

يستوجب على الباحث في مسألة التراث من العودة إلى عصر النهضة لاعتبارين

:**أولهما** : أن التراث يرتبط بماض غير محدد.[1] لذا لا بد من تحديد نقطة في الما ضي تكون منطلقا للبحث

وثانيها : أن النهضة العربية المعاصرة كانت دليل على إتصال الماضي بالحاضر ، بعد الانقطاع الذي حدث بين التاريخ العربي وتاريخ الثقافة العربية في فترة التسلط الإستعماري على الأمة العربية " [2]ولقد إستمدت النهضة العربية المعاصرة جذورها لاتصالها بالمجتمع الغربي الذي أيقظ المجتمع العربي من سباته العميق ، وقيده داخل حلقة من التساؤلات المتعلقة بالماضي و الحاضر والمستقبل ، ولقد أخذ رواد عصر النهضة على عاتقهم الإجابة عن أسئلة النهضة التي تمحورت حول سؤال هام هو كيف ننهض ونلحق بالحضارة التي تخلفنا كثيرا عن اللحاق بها ؟[3] وفي ظل هذا السؤال النهضوي ولدت" فكرة الانتظام في التراث"[4] الفكرة التي توخى رجالات عصر النهضة منها أن تتحقق " نقد الحاضر و نقد الماضي و القفز إلى المستقبل " [5] أي كشفوا وأسفروا عن السر الذي كان يعرقل الإلتحاق بالحضارة حتى قننوا وأسسوا نظاما لتراثهم حتى تمكنوا من نقل حلقة الحياة ماضي ،حاضر ومستقبل . ولقد أقر رياض وتار إلى أنه لم يكن هناك توافق في الإجابات بل تعددت الأجوبة وتباينت المواقف تبعا لتباين إيديولوجية المثقفين ولقد انحصر مفهوم التراث في الفكر المعاصر عربيا في ثلاث مواقف كالتالي:

امفهوم التراث عند السلفيين :

لقد كان مفهومهم هذا بمثابة مواجهة للغرب لا أكثر وذلك من خلال دعوتهم إلى الرجوع للقديم والتمسك بها حتى يتسنى لهم مواجهة الغرب وخسارتهم منطلقين من مسلمتين مفادها :"مسلمة دينية تقسم العالم إلى مؤمن وكافر هم الكفار ، وأخرى قومية تضع الجنس محل اهتماماتها وتتطلع إلى الماضي حيث كان لازدهار الحضاري ،

1محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002 ص27

2محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002 ص27

3المرجع نفسه: ص 27

4المرجع نفسه: ص 27

5المرجع نفسه: ص 28

رافضين في ذلك الفكر الغربي الحضاري "[1] ولقد إتضح التراث وفق السلفي : "مجرد تراكم كمي لأشكال من الوعي ،تتجلى في تصورات وأفكار وتأملات ومفاهيم متبعها الأساسي ومحركها الفعال هو الذات بوصف كونها هي الخالقة للموضوع وللقيمة "[2]وهذه النظرية جعلت الماضي و الحاضر في حقل التراث خطان متوازيان لا يلتقيان ،كما أنه فكر أبعد التراث عن مجتمعه وأصوله الأولى .

ب/ مفهوم التراث عند أصحاب الحداثة :

يقع الموقع الرافض للتراث في الجهة المقابلة للموقف السلفي أي أنه معاكس تماما للموقف السلفي ،"يرفض هذا الموقف الماضي كليا ويرفض الرجوع للتراث ويقرأ الحاضر في ضوء المستقبل فقط ،ويستبدل الغرب بالتراث منطلقا من أن المثل الأعلى يوجد في آخر الغرب هنا لا في الماضي ،وإن التراث بوصفه ينتمي إلى زمن مضى لا يمكنه أن يستمر الحاضر "[3]وهكذا وضع أنصار هذا الاتجاه عائقا جديدا يحجز الماضي على الحاضر بحجة أن التراث مجموعة من الإجابات و الاقتراحات و الممارسات طرحها الوجود على السلف ليحل بها مشكلات عصره وقضاياه ، ولكل عصر مشاكله وقضاياه وإجابته واقتراحاته "[4] وبناء على ما سبقه فأنصار هذا الاتجاه قد رفضوا التراث لإرتباطه بالقديم والتقليد ويجب أن تتغيرا لثقافة العربية ،ولا يتم إلا ضمن إنتاج سياق جديد جذري وشامل للحياة العربية في شتى وجوهها وإبعادها وهكذا تنتمي الحداثة لزمن التقليد و التراث على حد سواء....

ج/ الموقف الجدلي:

ظهر هذا الموقف كرد فعل مناقض للاتجاهين السابقين السلفي والحداثي ،فهذا الاتجاه يقوم على أسس غير الأسس التي قام عليها الموقفين الأوليين فقد واجه التيار الجدلي التيار السلفي بنزع القداسة عن التراث والنظر إليه على أنه يحتاج الوعي البشري في التاريخ والمجتمع "[5]كما أنه واجه التيار الرافض بربط الماضي بالحاضر عبر دراسة العناصر الحية للتراث ،و دراسة علاقته التاريخية بقضايا الماضي في ضوء القضايا والمشكلات و الأسئلة التي يطرحها "[6] وهكذا نظر الموقف الجدلي إلى التراث

1محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002 ،ص28

2المرجع نفسه ،ص 29

3المرجع نفسه ،ص 29

4المرجع نفسه ،ص 30

5المرجع نفسه ،ص 30

6المرجع نفسه ،ص 30

بواعث توظيف التراث في الرواية:

لقد كان وراء التوجه إلى توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة عدة بواعث يمكن أن نقسمها إلى ثلاث بواعث هي :

1– **البواعث الواقعية** : لقد أدت حرب حزيران 1967 وما تمخض عنها من نتائج سلبية و خيبة أمل كبيرة ظلت تحفر في وجدان أبناء الأمة العربية وخاصة المثقفين الذين أدركوا أن الهزيمة لم تكن عسكرية فقط بل كانت هزيمة حضارية أيضا وأن محور آثار الهزيمة يتطلبان إعادة التفكير في البنى الفكرية والثقافية للمجتمع وأدركوا كذلك العودة إلى الجذور ضرورية ،وذلك من أجل مساءلة الماضي و الوقوف على الخصائص المتميزة والهوية الخاصة "[1] بما أن الأدب مرآة عاكسة للواقع ينقل كل ما يحدث محاولا بذلك إيجاد الحلول للمشاكل الواقعية والنهوض بالمجتمع و الرواية جنس من أجناس الأدب وهي أقرب إلى الواقع ،ونظرا لما كان حاصلا في الأمة العربية من فقدان فلسطين والنكب التي اعرضت لها ،حيث أن إسرائيل نسيت حرب تعرف "بالأيام الستة"بينها و بين مصر ،سوريا ،الأردن في 5حزيران /يونيو 1967 والعاشر من الشهر نفسه ،وقد أدت هذه الحرب إلى إنتصار إسرائيل وإحتلالها لسيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ،و تعتبر ثالث حربة ضمن الصراع العربي ، وكان لهذه الواقعة أثر عميق في نفوس العرب فاتجه الأدباء إلى محاولة التغيير بالعودة إلى الموروث العربي الزاخر بالثقافات والفنون والمعارف للتأكيد على الهوية و الانتماء .

2–**البواعث الفنية** : لقد شكلت طبيعة العلاقة بين الرواية العربية والرواية الغربية أحد أهم الأسباب التي دفعت الروائيين في العقود الثلاثة الأخيرة إلى توظيف التراث و ترافق تراجع الرواية الغربية وظهور روايات أخرى تنتمي إلى "أمريكا اللاتينية "واليابان"و إفريقيا "،حيث أن هذه الروايات تتسم بشكل فني مغاير للشكل الفني في الرواية الغربية ،و ساهمت ولا سيما "رواية أمريكا اللاتينية "التي عرفت بميل كتابها إلى الغوص في البيئة المحلية ورصد عاداتها وتقاليدها وتراثها ، وتوظيف التراث الإنساني و خاصة حكايات "ألف ليلة وليلة "التي أثرت في الروائي الكولومبي "غارسيا ماركيز "في دفع الرواية العربية للعودة إلى قراءة التراث "[2]

– نشأة الرواية غربية بحتة ،وهي فن مستحدث لم يكن معروفا عند العرب ،ولما اتصلت الرواية بالروائيين العرب بقية ملتصقة بمنشأها(الغرب) وهذا شكل سببا رئيسيا في عودة الكتاب إلى التراث من أجل التخلص من تبعيتهم للغرب ،واستحداث مواضيع تنتمي إلى البيئة العربية ،فوجدوا في التراث غايتهم فاستلهموا منه شخصيات تاريخية لها دورها في المسيرة العربية ، وكذلك قصص دينية وألغاز شعبية .

1محمد رياض وتار :توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،من منشورات العرب ،دمشق ،2002، ص11

2المرجع نفسه : ص 12

3-الحركة الثقافية : مهد لظاهرة توظيف التراث ما بذله بعض النقاد من جهود للعودة بالرواية العربية إلى تلك الأصول والجذور التراثية بدلا من ربطها بالرواية العربية ،حيث وجد هؤلاء الباحثين أن كتب التراث تنطوي على ألوان كثيرة من القصص " كالقصص الديني والبطولي وقصص الفرسان و الأخبار و المقامات و القصص الفلسفي فما كان منهم إلا أن قطعوا صلة الرواية العربية بالغربية ونسبوها إلى هذه الأشكال القصصية و السردية الموجودة في بطون كتب التراث "[1] حاول الروائيين العرب قطع صلة الروايات العربية بالغرب وربطها بتراثهم الخاص فقد وجدوا في التراث غنى عن الثقافات الأخرى لما يحفل به من مجهودات الأقدمين الذين ساهموا في حفظ وصون عاداتهم وتقاليدهم وجدوها بين صفحات الكتب التي تعمل على توعية وإرشاد الأجيال الجديدة.

تجليات التراث في الرواية:

تعد الرواية من الأعمال النثرية وهي تنتمي إلى الأجناس الأدبية وتعبر عن الواقع بلغة راقية تثير الفضول في نفس المتلقي وتقوم الرواية على الزمان ، والمكان و الشخصيات والأحداث .وتبنى الرواية أحداثها بين الخيال و الواقع فهي تستمد من هذا الأخير مادتها وتصيغها في قالب فني جمالي في أزمنة مختلفة وفي بيئة اجتماعية يختارها الروائي كمسرح لها معتمداعلى التراث بوصفه مخزون معرفي تنهل منه قرائح المبدعين .والرواية العربية ساهمت في الحفاظ على تراث المجتمعات العربية باعتباره "ما يبقى من الماضي ماثلا في الحاضر الذي انتقل إليه و يستمر مقبولا ممن آل إليهم ، وفاعلا فيهم لدرجة تجعلهم يتناقلونه بدورهم على مر الأجيال "[2] ومن هذا اتجه الروائيون العرب لتوظيف التراث في أعمالهم الإبداعية لخدمة موضوعاتهم وبيان أصالة أجدادهم وما يملكون من ماضي لايزال يواكب العصر .وقد مرت الرواية العربية بثلاث مراحل[3] هي :

أ-مرحلة المخاض

ب- مرحلة التأسيس.

ج- مرحلة الرواية الفنية

ففي بدايتها اتسمت بالسير على نهج القدماء في الشعر والنثر ،فقد "حاكى الشعراء الجدد في قصائدهم النموذج الشعري القديم وقلدوا القدماء في الوزن والموضوع والقافية و الأسلوب "[4]

1محمد رياض وتار :توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،ص 12

2بيار بونت -وميشال إيزار وآخرون ،ترجمة :مصباح الصمد ،معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا ،دط ، الؤسسة الجامعية لدراسات و النشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان 2006،ص 366.

3محمد رياض وتار :توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،من منشورات اتحاد كتاب العرب ،دط ،دمشق ،2002، ص 25 بتصرف.

4المرجع نفسه : ص 26

فالأدب العربي القديم قد تولد من المسامرات (حديث الليل) ،ومن تداول القصص الشفهي الذي صور أيام العرب في الماضي و مجد دورهم التاريخي باعتبار أن المأثور الشعبي يعتبر عنصر أساسي في تشكيل الهوية العامة لثقافة التي ينتمي إليها وتعبيرا أصيل عما حققه التراث الشعبي من رقي فكري وحضاري عبر نضاله الطويل من أجل البقاء فقد عرف "عبدالحميد بورايو " التراث الشعبي بقوله :"مجموع الرموز وأشكال التعبير الفنية و الجمالية و المعتقدات و تصورات و القيم و المعايير و التقنيات و الأعراف و التقاليد والأنماط السلوكية التي تتوارثها الأجيال ،ويستمر وجودها في المجتمع بحكم تكيفها مع الأوضاع الجديدة ،واستمرار وظائفها القديمة أو إسناد وظا ئف جديدة لها".[1] فالتراث الشعبي لا يختص بالقديم فقط بل هو يواكب العصر فهو نتاج حي ويشمل على كل مظاهر الحياة .كما نجد "فاروق خورشيد" قد خص التراث الشعبي العربي بقوله :"هو مجموع العطاءات القولية و الفكرية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب العربية "[2]. فنجده قائم على نطاق واسع منها ما يرتبط بالجانب الفكري الذي يتمثل في الموروث الأدبي والعلمي الذي أنتجته عقول السابقين و المجتمعية التي تمثلت في تلك الطقوس والعادات والتقاليد التي شاعت عندهم مثال ذلك :طقوس الزواج ، طقوس الختان .وكذلك الصناعات الحرفية كالفخار و النسيج و الصناعات النحاسية... وكل هذا داخل في نطاق الموروث الشعبي و الأدب الشعبي جزء من هذا الموروث .والذي يعرف بأدب الشفهي كونه تداول بين الناس شفاهة يضم جملة من الفنون القولية أهمها :المثل ،اللغز ،النكتة ،الأسطورة ، الخرافة ، الحكاية الشعبية و الأغنية و الشعر الملحون ،يضاف إليها بعض الأشكال التمييزية لبعض الثقافات الإنسانية كسيرة الشعبية لبعض الشعوب العربية "[3] مثال ذلك :سيرة عنترة بن شداد ،سيف بن ذي يزن و الزير سالم و الأميرة ذات الهمة و السيرة الهلالية "[4] هذه الأخيرة كان لها دور فعال في روايات واسيني الأعرج الذي ضمن السيرة الهلالية في رواية "نوار اللوز "فالسيرة الشعبية تولي اهتماما كبيرا بتوظيف المادة التاريخية فمعظم هذه السير يكون فيها شخصيات ووقائع لها أصل تاريخي ،لكن هذا لا يعني أنها تلتزم بصحة الأخبار و التواريخ بل تعتمد على الإضافة والحذف و المبالغة لأنها عمل فني أدبي حكائي قصصي فمنهم من عد سيرة عنترة لا مثيل لها في كل إبداعات العالم لما وصفوه بالفروسية و أظفوا عليه جوانب خارقة و عجيبة لما في شخصية عنترة من جوانب أخلاقية من المروءة و الشهامة و الشجاعة وكذلك شعره كان شعرا بطوليا حماسيا حتى قال عنه النبي –صلى الله عليه وسلم" : – ما وصف لي أعرابي فأحببت أن أراه إلا عنترة " [5] ونجد

1كريمة نوادرية ، سعاد زادم :التراث الشعبي المفهوم و الأقسام ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ،ميلة الجزائر ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ،العدد 5 ،جوان 2017 ،ص 865

2المرجع نفسه : ص 865

3المرجع نفسه : ص 868

4محمد صاحبي :هاجس العودة إلى التراث –روائيي الحداثة العرب –الغيطاني نموذج،ص 9

5لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني : شرح المعلقات العشر ،ط1 ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان ، 1425-1426 هـ 2005/ م،ص59

كذلك سيرة عمر بن الخطاب للجوزي الذي تحدث عن شخصية عمر بن الخطاب كشخصية عظيمة خلدها التاريخ الإسلامي للوزن والمكانة التي حظي بها حتى أن النبي –صلى الله عليه وسلم" :– دعا أن يحفظ الإسلام بأحد العمرين ."ونجد من الروايات التي وظفت التراث الشعبي رواية "الأرض والدم " لمولود فرعون ،فقد ضمنت الأمثال الشعبية و العادات و التقاليد الشعبية و الفنون الشعبية و المعتقدات الشعبية،[1] وكذلك يتجه المبدع إلى النهل من الحكاية الشعبية الذي كان لها حضور في الثقافة العربية ومنها (حكاية ألف ليلة وليلة) والتي تعد من الأشكال السردية التراثية" .فيعد كتاب ألف ليلة وليلة من الكتب العالمية الأكثر تأثيرا ورواجا لما له من التعالق مع حكاياته ذات الطابع الفلكلوري و العجائبي المروية للملك شهريار من طرف زوجته شهرزاد "[2] فإذا لم تصلح ألف ليلة وليلة لكي تكون بداية من بدايات القصص في الأدب العربي تصلح إلى أن تكون مضمونا ، ومن بين الأعمال التي وظفت هذه الحكاية نجد :رواية ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ الروائي المصري سنة 1979 رواية بدر زمانه للمغربي مبارك ربيع 1983 و رواية طريق الحرير في 1995 ،ورواية سيدي و حدانه 1998 للسعودية رجاء عالم ، ورواية ألف امرأة لليلة واحدة في2010 للسعودية زكية القرشي وتتميز هذه الأعمال الروائية المقترحة كونها متنوعة و شاملة في المكان والزمان و الاتجاه الأدبي إذ تنوعت البلدان العربية التي صدرت منها تلك الأعمال [3]

ونجد كذلك رواية (رمل الماية) لواسيني الأعرج وهي رواية تراثية وظف فيها قصة ألف ليلة وليلة ، حيث ضمنت هذه الرواية قصص كثيرة روتها شهرزاد أخت دنيا زاد للملك شهريار بن المقتدر فكانت هذه هي الحكاية الإطارية التي جرت في الليلة السابعة بعد الألفو حكايات فرعية مثل :حكاية البشير المورسكي الحلاج ،و حكاية ابن رشد و حكاية أبي ذر الغفاري و حكاية بوازن القلعي ،وحكاية الخضر ،وحكاية أهل الكهف " [4] فواسيني الأعرج ضمن الحكاية الإطارية لألف ليلة وليلة وهي الحكاية المطولة بين شهرزاد وشهريار و أضاف ستة ليالي بعد ألف ليلة وليلة فكانت الحكاية الأخيرة هي السابعة بعد الألف" .فهناك من الروائيين من أقام ببناء روايته على بناء ألف ليلة وليلة ووظفها بشكل كلي كما فعل نجيب محفوظ في روايته "ليالي ألف ليلة "وبعضهم ضمن روايته حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة كرواية "سلطانة النوم وزرقاء اليمامة "لمؤنس الرزاز ، كما اكتفى بعض الروائيين بالإشارة

1أوهرومش أوردية –كميش حكيمة :توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، رواية الأرض والدم لمولود فرعون أنموذجا ،مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة وآدابها ،تخصص أدب جزائري ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، 2013–2014 ،ص 33

2المرجع نفسه :ص 25

3معجب العدواني :الموروث و صناعة الرواية مؤثرات و تمثيلات ،ط1 ،منشورات ضفاف ، بيروت ،سنة 1434هـ2013– م ،ص 25 ،26

4حسينة توام : اشتغال الموروث في روايتي (نوار اللوز و رمل الماية) لواسيني الأعرج ،مذكرة لنيل شهادة ماستر ،في اللغة والأدب العربي ، تخصص أدب جزائري ، جامعة الجيلالي بو نعامة ، 2015 – 2016 ص 39 ،40

إلى بعض الصور والموضوعات"[1] ومن خلال ما سبق نرى أن حكايات ألف ليلة وليلة كان لها صداها البعيد و القوي في نفوس وهواة هذا الفن اللذين جعلوا منه مادة خام في تدعيم فنونهم النثرية و إثراء موضوعاتهم من خلال الرجوع إلى كنوز الفكر و الإبداع التراثي الذي لا يزال مصدر الإلهام لكل من هو مقبول على هذه الساحة الفكرية و الإبداعية

التراث التاريخي:

التاريخ يمثل ذاكرة الأمم والشعوب و الوعاء الحافظ على مخزونها الثقافي ،ويعد أداة إتصال بين الأجيال ، وهذا ما دفع الكتاب إلى العودة إليه و الإستلهام منه وبهذا "ارتبطت الرواية العربية بالتاريخ منذ نشأتها تستقي مادتها منه بجرعات و طرائق مختلفة مؤمنة بأنها تعيش في زمن أقل ما يقال عنه أنه زمن ضاعت فيه إنسانية عربي بتضييعه لقيمه التاريخية و التراثية "[2] فعادت الرواية إلى التاريخ العربي و الإسلامي بمضامنه الحضارية و الرمزية مستمدة منه مادة رأتها كفيلة بتحقيق ما تصبو إليه فنجد [3]:

سليم البستاني في رواية زنوبيا صدرت 1871 ورواية بدور 1872 و رواية الهيام في فتوح الشام 1874 لتأتي بعدها أعمال جورجي زيدان التي غطت ماكتبه سليم البستاني كما وكيفا منها :روايات بعنوان تاريخ الإسلام 1891-1914 منها :رواية المملوك الشارد 1891 رواية استبداد المماليك 1892 رواية جهاد المحبين 1895 رواية عذراء قريش 1898 وكذلك رواية شجرة الدر و رواية غادة كربلاء و رواية صلاح الدين الأيوبي .رواية غادة كربلاء التي تتضمن مقتل "الإمام الحسين بن علي " وأهل بيته في سهل كربلاء ووقعة الحرة وولاية يزيد بن معاوية وما جرى من الأحداث والفتن إلى وفاته سنة 64 هجري وغادة كربلاء هي سلمى بنت حجر بن عدي وهو من شيعة علي.[4]

ورواية صلاح الدين الأيوبي ،وهذه الرواية تتضمن انتقال مصر من الفاطميين إلى الأيوبيين على يد السلطان صلاح الدين مع وصف طائفة الإسماعيلية المعروفة بجماعة الحشاشين "[5] ويعد جورجي زيدان من خلال أعماله الروائية النموذج الأرقى و الأمثل لأنه أجاد استحضار التاريخ وهذا ما يتضح جليا في عنوان الرواية من جهة ومن خلال استحضار لتلك الشخصيات التاريخية والأحداث في المضمون من جهة أخرى.

1محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،من منشورات اتحاد كتاب العرب ،دط ،دمشق ،2002 ،ص 27

2عبد الله بن صفية ،أستاذ محاضر : دروس في مقياس السرديات العربية الحديثة و المعاصرة ، السنة الثالثة ليسانس ، دراسات أدبية ، تخصص أدب عربي ، السداسي الخامس ،2016 -2017 ،ص16

3المرجع نفسه :ص 18

4جورجي زيدان :غادة كربلاء ،روايات التاريخ الإسلامي (1914-1891)ط2، دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،ص3

5جورجي زيدان :غادة كربلاء ،روايات التاريخ الإسلامي (1914-1891)ط2، دار الجيل ،بيروت ،لبنان ،ص2

2التراث الديني :

يعد التراث الديني من أهم المصادر التي اعتمد عليها الروائيين المعاصرين لثرائه بالقيم والمعاني التي وجدوا فيها ملاذهم في كثير من المواضيع هم" .

فقد وظفت الرواية العربية المعاصرة النص الديني بمصادره القرآنية و التوراتية و الإنجيلية بالإضافة إلى توظيف الحديث الشريف و التراتيل الدينية و الفكر الديني ، ولا سيما فكرة المخلص ،و الفكر الصوفي الذي حظي باهتمام عدد من الروايات." [1]ونقصد بالنص الديني هو مختلف النصوص التي تكون مرجعيتها الدين سواء كان نص قرآني أو حديث نبوي أو أقوال الصحابة .باعتبار الدين يحتوي على جل الحقائق الدنيوية و الغيبية وأيضا توظيف قصص الأنبياء لأخذ العبرة أو الدعوة إلى التحلي بالقيم الأخلاقية مثال ذلك :كقصة سيدنا يونس عليه السلام في بطن الحوت وقصة سيدنا آدم وحواء هذه الأخيرة التي تمثل أول قصة ذكرة في القرآن الكريم حيث بين القرآن الكريم كيد الشيطان وإغواءه لآدم وحواء و أخرجهما مما كان فيه وكذلك قصة مريم عليها السلام وقصة سيدنا الخضر عليه السلام.....إلخ هذا الإبداع الرباني المعجز والكنز الذي لا تنتهي ذخائره جعله محط أنظار أهل الإختصاص و الخبرة محاولين الأخذ تارة والتقليد تارة أخرى .ومن بين هؤلاء المبدعين واسيني الأعرج الذي أخذ من هذا الزاد المعرفي و ضمن في روايته "أنثى السراب " الذي ضمن فيها قصة آدم وحواء عليهما السلام وكيفية خضوعها لإغواء الشيطان فأنزلهما الله مما كان فيه إلى الأرض ،مستندا في ذلك إلى آيات من الذكر الحكيم التي تروي أحداث القصة"[2]

مثال ذلك قوله تعالى في محكم تنزيله " : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا و منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(35) فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (36)"[3] وكذلك قصة قابيل وهابيل : وهي من القصص القرآني التي جرت أحداثها في بداية وجود الإنساني على وجه الأرض وتعتبر نموذج لطبيعة الصراع الأزلي بين الخير و الشر و القسوة والعدوان ، وهذا ما تجلى في القرآن الكريم في قوله تعالى ": واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا من أحدهم ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين (27) لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28) إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (29) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (30) " [4]

1محمد رياض وتار:توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة،ص138.

2واسيني الأعرج:أنثى السراب ،ط1 ،الجزائر ،2015،ص 51-52

3 البقرة الآية 35-36

4المائدة الآية 27-28-29-30

3 التراث الأسطوري :

الأسطورة حكاية غريبة يغلب عليها الخيال تجمع بين التراث الديني والتاريخي و الشعبي وتتجلى فيها مقدرة المخيلة الشعبية و الأدبية ونجد فيها شخصيات خارقة و عجيبة ، وقد كانت ذا أصل غربي إغريقي يوناني فقد ارتبطت عندهم بالآلهة و طقوس العبادة .وبدخول الأسطورة إلى الثقافة العربية لقيت الإهتمام من طرف المبدعين حيث وظفوا شخصيات تاريخية و أظفو عليها جوانب أسطورية خارقة. ومن بين الأساطير : أسطورة تموز وأسطورة عشتار أو أفروديت و أسطورة أرفيوس وكذا أسطورة سيزيف و أسطورة الفنيق ،ومن بين الأساطير التي كان لها وقعها الخاص وتأثيرها الكبير "أسطورة سيزيف " حيث أن هذا الأخير هو بطل إغريقي وهو إبن "إيولوس"ملك مدينة طروادة الرابع " [1] كان ذكيا وماكرا ومخادعا ،حكم عليه "زيوس"كبير الآلهة بالعذاب الأبدي لأنه وعد إله النهر "أيسوبس"يروي له قصة اغتصاب "زيوس " لإبنته شرط أن يعطي مملكته نبعا من الماء على جبل من جبالها ، فغضب "زيوس " وأرسل له إله الموت ليقتله غير أنه تمكن من النجاة وعندها أرسل "زيوس" إله الحرب لتحرير إله الموت "سيزيف" الذي طلب من زوجته قبل موته أن تقيم له جنازة وبذلك يستطيع العودة إلى الحياة من جديد .وقيل أيضا أن سبب غضب كبير الآلهة "زيوس" عليه هو سرقته لنار المعرفة من الآلهة وإهدائها إلى البشر "[2] ومن بين الروائيين العرب اللذين وظفوا الأسطورة في إبداعاتهم نذكر الروائي الجزائري واسيني الأعرج في روايته "أنثى السراب " [3] حيث وظف أسطورة العدد سبعة نسبة إلى أيام الأسبوع واتخذوا من هذه الأيام أسطورة.

-4التراث الأدبي

: يعد الموروث الأدبي من أهم وأبرز المصادر الأدبية التي إرتكز عليها الروائي المعاصر في إبداعه الفني ، فلقد عكف الأديب العربي المعاصر على إستخدامها ،فمن الطبيعي أن يكون الموروث الأدبي هو أثر المصادر التراثية و أقربها إلى نفوس شعرائنا و أدبائنا المعاصرين .ومن الطبيعي أيضا أن تكون شخصيات الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي الضمير عصرها وصوتها ،الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجارب الشعراء في كل عصر."[4] فنجد الأديب أو الشاعر أو كل من سافر على حافلة الأدب والإبداع ،يستدعي أبعاد شخصية ليعبر من خلالها عن أبعاد تجربته ،فقد تكون لهذه الشخصية بعد تاريخي أدبي أو افتراضي .فنصادف أيضا "عبد الرحمان حمدان "في توظيفه للتراث الأدبي يقر بأنه :"المصدر الأدبي من المصادر التراثية الأساسية التي لجأ لها الأدباء المحدثون إلى استدعاء عناصر منها يثيرون بها تجاربهم ومواقفهم

1طروادة :مدينة قديمة في فرجينيا في آسيا الصغرى (في تركيا الآن) ،كانت مسرحا للحرب المعروفة باسم حرب طروادة التي ذكرها الشاعر اليوناني هوميروس في إلياذته.

2رجاء أبو علي :الأسطورة في شعر أدونيس ،ط1،دمشق ،حلبوني ،سنة 2009 ،ص217-218

3واسيني الأعرج : أنثى السراب ،ط2 ،الجزائر ،2015، ص53-54

4علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية ،ص 138.

الفكرية المعارضة فهو النموذج الذي لا بد لأي شاعر لاحق أن يلم به معرفيا حتى يتسنى له إبداع الأدب ،وحتى يضمن لأدبه ولغته النمو والتطور." [1]حيث أن الأديب يستلهم أسماء شعراء وأدباء أو بعض من أعمالهم الإبداعية ويضمنها في نصه كونهم هم الأسبق في حمل شعلة الفكر و الإبداع الأدبي.

-5التراث الشعبي:

يعد التراث من القيم الإنسانية المتوارثة عبر الأجيال ويشمل كل ما هو مادي و معنوي يجسد معالم ذلك المجتمع والحضارة ومن هذا نجد التراث الشعبي الذي يعتبر روح المجتمعات لما يجسده من مظاهر الحياة و الفضائل الأخلاقية وبث الروح في كل ماهو قديم .فالتراث الشعبي يعبر عن روح العامة من الناس فهو مستمد من الشعب و يستقي مادته منه ويشمل العادات و التقاليد ، الحكايات ، الأمثال ، الحكم الشعبية و الأغاني الشعبية وكذا الإبداع الشعبي .كما أن التراث الشعبي جزء لا يتجزأ من علم الفولكلور ، الذي هو علم ثقافي يختص بقطاع معين من الثقافة (هو الثقافة التقليدية أو الشعبية) يحاول إلقاء الضوء عليها من زوايا تاريخية ،وجغرافية و الاجتماعية ونفسية "[2] فعلم الفولكلور يضم التراث الشعبي فهو شامل لمختلف مظاهر الحياة فيدرس مجتمع ما من جميع النواحي وبذلك يعطي لذلك الموروث الشعبي دلالته .فالموروث الفولكلوري مستمد من ثلاث مصادر رئيسية هي بحسب أهميتها ومدى إقبال الشاعر المعاصر عليها : ألف ليلة وليلة السير الشعبية :كسيرة بني هلال ،عنترة و سيف بن ذي يزن ...كتاب كليلة ودمنة : الذي ترجمه عبد الله بن المقفع عن الفارسية ومن يومها أصبح من معالم تراثنا الفولكلوري "[3] فالفولكلور مستمد من مصادر كانت بمثابة إلهام للكتاب وكذا الأجداد وصولا للأحفاد فكل الأدباء أخذوا من هذه المصادر وضمنوها في إبداعاتهم

-6التراث الصوفي:

الصوفية هي التجرد من ملذات الدنيا وشهواتها و الارتقاء بالإحساس إلى حد الشعور بالذات الإلهية ،تشمل طائفة من الناس انصرفوا عن ملذاتهم ورغباتهم ، "فالخطاب الصوفي منذ بداياته حتى مأساة الحلاج التي كانت الإنعطافة المحورية التي جعلت كبار المتصوفة يلتجئون إلى الرمز و الإشارة و التلغيز و التعمية هربا من تبعات سوء التلقي التي ورطت كبارهم في التهمة وعرضتهم إلى القتل على نحو ما فعل بالحلاج والسهروردي " [4] فكانت هذه التجارب التي عايشها هؤلاء مصدر إلهام المبدعين ، فقد اتجهوا إلى النهل منه (التراث الصوفي) كونه مصدر جمالي وفني يعطي أبعاد دلالية تسمح للقارئ بمعرفتها وتأويلها .حيث نجد الروائي يستلهم من الأدب الصوفي

1عبد الرحيم حمدان :توظيف الموروث الأدبي في شعر فوزي عيسى ،مجلة جامعة البحرين ،27 مارس 2013

2محمد الجوهري : مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري ،ط1 ،دون دار النشر وبلد النشر ،2006 ،ص 11

3علي عشري زايد :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دط ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،1417هـ1997 م ،ص 152.

4عبد الله شطاح : مقال "الأدب الصوفي ،الإشارة والعرفان "جامعة الأغواط الجزائر ،ص 43

الشخصيات (ابن عربي، ابن الفارض...) أو النظريات الصوفية مثل : نظرية الحلول و الإتحاد أو أقوال صوفية ويصمنها في قالب فني تخدم موضوعه .ومن أهم الروايات التي استدعت الموروث الصوفي في خطابها نجد :حدثنا أبو هريرة لمحمود المسعدي 1935 وكذلك مولد النسيان التي تطرح قضايا الوجود و الإنسان بنفس فلسفي عميق .بالإضافة روايات نجيب محفوظ : الحرافيش ،اللص والكلاب ،ميرامار "[1] وبهذا كان التراث الصوفي محط توجه النخبة من الأدباء المتمكنين من الخوض في هذا الميدان الفريد من نوعه.

التراث في الرواية الليبية

: لقد كانت البداية الناضجة و المكتملة للرواية التي تتميز بطول نفسها القصصي وبدرامية البناء وشهديته وبتنوع الشخصيات ،حيث تتميز الرواية بتوجه شعري وقد اتسمت أيصا بتوجه عجائبي خرافي قوامه التهكم والدعابة الساخرة ،حيث توجه الكتاب إلى استدعاء التراث في روايتهم وذلك لتجسيد الواقع الليبي" [2] وكانت الإنطلاقة في ليبيا مع بداية الستينيات ويتمثل ذلك في :[3] قصة أقوى من الحرب 1962 وحصار الكوف 1964 لمحمد علي عمر اعترافات إنسان 1961 لمحمد فريد سيالة .غروب بلا شروق 1968 لسعد عمر الغفير سالم .فكانت هذه الأعمال بمثابة بداية للرواية الليبية ، غير أن التأسيس الفعلي لها مع بداية السبعينيات والثمانينيات من القرن 20، مع إبراهيم الكوني من خلال رواياته : الخسوف 1989 التبر 1990 المجوس 1991 بالإضافة إلى رواية "نزيف الحجر " هذه التي شملت مختلف أنواع التراث) :ديني ،تاريخي ،أسطوري ،شعبي ،أدبي ،صوفي).

1 فتيحة غزالي :تجليات الصوفية في التجربة الروائية المعاصرة لسلام أحمد إدريسو ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي، تخصص أدب عربي حديث ومعاصر ، جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2017-2018 ،ص 32، 33.

2عبد الحميد عقار :الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب ،ط1 ،دار البيضاء ،1421 هـ2000 م ،ص 22.

3صالح مفقودة : أبحاث في الرواية العربية ،منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم الأدب العربي ، ص 14.

الفصل الثاني: استدعاء التراث في رواية "نزيف الحجر"

ملخص رواية "نزيف الحجر لإبراهيم الكوني"

تدور أحداث هاته الرواية ،حول راع اسمه أسوف يتخذ من الجبال حصنا منيعا له من بني البشر ،عاش أسوف منعزل عن حياة الواحات وجلسات السمر مع الخلان في الليالي المقمرة، لقد ورث هذا عن أبيه الذي كان يرى في ابتعاده عن الناس خير فهو فضل مجاورة الجن على مجاورة الإنس ،حيث أن أسوف من كثرة انعزاله وانطوائه على نفسه أصبح أكثر خجل من البنات ، كان أسوف حارسا لتلك الجبال يتأمل الرسوم و النقوش على الجدران ،لقد كان يأتيه السياح من كل أقطار العالم لكي يصلوا أمام التمثال العملاق حتى جاء ذلك اليوم الذي أتى فيه زائران إلى أسوف ، أحدهما يدعى قابيل والثاني مسعود ،لقد بدا قابيل من ملامح وجهه أنه جاء لشئ معين لقد كانت ملامحه غريبة و الهدف من وراء زيارته إلى الصحراء يختلف عن باقي السياح والزائرين ، فقد جاء قابيل من أجل تقفي أثر "الودان"هذا الحيوان الذي انقرض من زمان ولم يبقى منه إلا القليل ،لكن أسوف تجاهل كلام قابيل ولم يخبره عن مكان هذا الحيوان النادر الذي كان له صلة قوية بوالد أسوف ، صلة أخفاها الوالد عن ولده متجاهلا بها إلحاحه الطفولي بعدم تعليمه صيد الودان ، وفي أحد الليالي المقمرة أخبر الوالد ابنه بقصته مع الودان ، أنه في أحد الأيام أدرك الوالد ودانا تائها في الجبال فطارده ، حتى تعب الودان من تلك المطاردة النكراء حيث حاول الوالد أن يخنق الودان بحبل لكنه دافع عن نفسه بتوجيه طعنات قوية أبرحت الوالد أرضا محاولا سحق الوالد ،في تلك اللحظة أمسك الوالد بالبندقية ووجهها نحوه حينها أدرك هذا الحيوان أنه لا مفر من الموت اليوم فقرر أن ينسحب من المعركة بإرادته حيث قفز الودان من فوق ربوة عالية إلى الأرض منتحرا مما أدى إلى تكسرت رقبة الودان ،حيث أن الوالد لم يكمل القصة لأسوف ولم يعلمه أنه نذر نذرا لروح الجبال "الودان " بأن لا يصطاده أو أن يعلم نسله صيده ، هنا يكمن سر هاته اللعنة الأبدية التي لحقت أسوف جراء ما فعله والده حين أنقذ روح الجبال –الودان – الوالد ذات مرة من الموت المؤكد حين أدركه الودان وهو معلق بين السماء والأرض ،فمنذ ذلك اليوم قطع على نفسه وعدا بأن لايصطاده أو أن يعلم أولاده صيده ،لكن شاءت الأقدار ،أن يخلف الوالد العهد حين جاع هو وزوجته في سنوات الجفاف والقحط فكانت الأم حاملا بأسوف ،فما كان على الوالد إلا أن يحنث بالوعد ويصطاد الودان لكي يطعم زوجته الحامل بولده فهي لم تستطع أن تقاوم الجوع ، لقد شعر الوالد بالحزن و الأسى الشديدين .لقد كان لمخالفة النذر ثمنا باهظا دفع الوالد تكلفته وقطع تذكرة سفره إلى عالم الآخر لقد عاقبته روح الجبال في تلك الرحلة الشنيعة التي خرج فيها ولم يعد ،حيث أرسلت الأم أسوف لتقفي أثر والده لينصدم بالمشهد المروع والفاجعة الكبرى التي رأها لقد ثأر الودان واقتص من قاتل أخيه وكان سببا في انتحار أخيه الودان ،كبر أسوف والحلم الدفين لايزال يراوده ،حيث عاش الولد نفس تجربة والده ،حين كان يرعى بقطيعه ولفت انتباهه تيس عظيم مع قطيعه حين أمعن النظر تبين له أنه ودان عملاق في معركة مع تيس اندهش كثيرا حتى وجد نفسه يتناول عصاه وحبله محاولا صيد الودان ،حيث حدثت معركة دامية بين أسوف وهذا الحيوان

الخارق ليجد أسوف نفسه بين الحياة والموت معلقا في الهاوية لولا المعجزة التي حصلت معه وأنقذته من تلك الفاجعة بفضل الودان الذي كان يحاول اصطياده ،هذا الودان الذي قتل أباه وأنقذ ابن عدوه ،هنا تجدد العهد والنذر من جديد بين الإبن –أسوف –و الودان ،حيث استوطنت روح الجبال في أسوف وقد ظهرت عند وقوع أسوف في الأسر ليهرب من الأسر في شكل جديد ألا وهو جسد ودان ،وهنا أسوف تحول من بشر إلى حيوان ،لتعود أحداث الرواية إلى الشخصية الغامضة هي شخصية قابيل الذي لايزال في مرحلة بحث وتمشيط لصحراء بحثا عن الودان ليسترجع قواه ونشاطه من أكل اللحم وشرب الدم الذي تعود عليه منذ الصغر ،ليكتشف قابيل في الأخير كذب أسوف ،فصلبه على الصخرة وأدرك أن الرؤيا التي رأها أن الودان الذي رأه في الحلم ماهو إلا أسوف اللعين لقد جن جنون قابيل ، فقد أمسك قابيل بالسكين فدهش مسعود وذعر وتراجع لأنه أدرك أن صاحبه عازم على ذبح ضحيته لا محالة ،فنحنى فوق رأس ضحيته وجر عليه وذبحه ،لكن أسوف صمد إلى آخر رمق فيه، حيث ردد أسوف عبارته الشهيرة ورأسه مفصول عن جسده "لا يشبع ابن آدم إلا التراب " ،حيث اسودت السماء وغطت الشمس بسحاب كثيف داكن فقد جسدت هنا الرواية لظاهرة الحلول والتي بدأت بحلول أب أسوف في جسم الودان،ليحل بعد ذلك الودان في جسم أسوف ، لتنتهي الرواية نهاية مأساوية حزينة توحي بالحياة الصعبة التي يعايشها الفرد الليبي الصحراوي نتيجة الظروف الطبيعية القاسية من جهة وكذا الواقع الليبي وما عايشه إبان فترة الاستعمار الإيطالي والأمريكي.

أولا التراث الأسطوري

تعد الأسطورة من التراث التي تزخر بها الأمم وتؤمن بها فقط توارثتها الأجيال عبر الزمن فقد بدأت عند اليونان وانتقلت إلى الأمم العربية . وذلك باعتبارها "تفسيرا للطبيعة وللتاريخ ، ولروح وأسرارها ، ومعنى تفسيرنا للأساطير هو أن نكشف فيها رموزا للأشياء "[1] فقد استلهم الغرب اساطيرهم من الطبيعة وحيواناتها وظواهرها بالإضافة إلى التاريخ والبطولات والانتصارات "–فالأسطورة حقيقة ثقافية بالغة التعقيد يمكن تناولها وتفسيرها من وجهات عديدة مختلفة فقد أخذت الأسطورة مدلولات مدلولات دينية وتاريخية و اجتماعية "[2] وهذا يعني أن الأسطورة هي نتاج ثقافي وديني واجتماعي تختلف من بيئة إلى أخرى يعرفها باور "أن الأسطورة تشمل كل ما ليس واقعيا أي كل مالا يصدقه العقل .... فكل قصة تعتمد على أسس غير عقلية أو تبرر بمبررات غير عقلية لا يكون ثمة شك في أنها نتاج لخيال أسطوري "[3] فقد ذكر "باور" أهم عناصر الأسطورة التي تجعلها محط أنظار المبدعين لنهل منها

1علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دط ، دار الفكر العربي ،القاهرة ، 1417هـ ، 1997م ص 174

2علي عشري زايد :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،ص 175

3المرجع نفسه ص 175

وتتمثل في الخيال الأسطوري وكذا الخارق (غير المعقول" (فإن الأسطورة توقظ النشوة حتى في وجه الموت واليأس اللذان يتولدان من تصور العدم والفناء ومتى توقفت الأسطورة عن إحداث هذا التأثير فإنها تموت وتصبح عديمة الفائدة "[1] فالأسطورة ذات بعد جمالي لما فيها من خوارق وغرائب مما تدفع بالكاتب أولا إلى توظيفها داخل نصه والمتلقي ثانيا إلى تذوقها بكافة تفاصيلها ،فهي الأحجية الغامضة التي يحاول القارئ معرفة خباياها.

"فالأسطورة ليست مجرد نتاج بدائي يرتبط بمراحل ماقبل التاريخ أو بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان .وأنها لذلك لا تتفق وعصور الحضارة و إنما هي عامل جوهري و أساسي في حياة الإنسان في كل عصر "[2]فنظرًا لما تتميز به الرواية من التشويق والإثارة جعلها صالحة لكل زمان ومكان فلم تبقى حكرا على الأمم الغربية وإنما انتقلت الى البيئة العربية وبهذا وجدت أساطير لها جذورها العربية منها :سيرة ابن هشام وسيرة عنترة بن شداد والأميرة ذات الهمة وسيف بن ذي يزن [3] ومن الكتاب اللذين تأثرو بالأسطورة واستلهموها في كتاباتهم نجد "إبراهيم الكوني في روايته "نزيف الحجر "فقد تناول أسطرة الشخصية وهو الاعتزاز بشخصية ماكان لها وقعها في التاريخ سواء من خلال بطولاتها أو انتصاراتها وتعظيمها وتقديسها إلى حد الأسطرة وذلك بإضفاء جوانب خارقة وعجيبة عليها وبذلك تصبح هذه الشخصية مغايرة لتلك الشخصية الأولية ، حيث يتم الإقتداء بها و الإيمان بها وحتى عبادتها وجعلها آلهة تعبد وهذا ماظهر عند اليونان والإغريق.

1 –أسطورة أسوف:

لقد وظف إبراهيم الكوني " أسوف " وهي شخصية لها وقعها الخاص في المتن الروائي فهو الشخصية التي تمثل الراعي البسيط الذي انعزل عن البشرية واختار الصحراء ملاذا له ، فهو رمز الطهارة والنقاء . وقد فضل معاشرة الحيوانات و التأقلم مع الطبيعة الصحراوية القاسية بالإضافة إلى عالم الجن التي لطالما استحضرها في الليالي المقمرة وتتجلي أسطرة "أسوف" في الرواية من خلال دفاعه عن الحيوان المقدس لدى سكان الصحراء (الطوارق) وحمايته من ذلك المخلوق الغربي "قابيل" الذي كان يترصد به ،ويتجلى ذلك في ثنايا الرواية : قال بعد تفكير طويل – : لايوجد الودان هنا .ثم..ثم أن صيده صعب ، صعب هتف قابيل – : صعب أم سهل هذا شأني أنا دلني عليه وسوف ترى ! الودان لايعيش إلا في رؤوس الجبال .في أوعر الجبال اذن أنت تعترف بوجوده في الجبال إرتبك أسوف وتلعثم .قال بعد معركة مع نفسه : ربما يوجد في الجبال .لا أدري .مسح العرق بكم جلبابه ،[4] فقد تعرض أسوف إلى الكثير من المواقف المحرجة من قبل "قابيل"الذي كان يسأله مرارا وتكرارا عن مكان "الودان" غير أنه في كل مرة يحاول أن يخفيه عن الأنظار وبهذا جعل من شخصية أسوف الشخصية البسيطة ،الضعيفة ، الفقيرة في

1كارين أرمسترونغ :تاريخ الأسطورة ،ترجمة وجيه قانصو ،ط1 ،1429 هـ2008- ، دار العربية للعلوم ،بيروت ص13

2عزالدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الغنية و المعنوية ،ط3 ، دار الفكر العربي ، دون بلد ،دون سنة ،ص122

3مجدي كامل : أشهر الأساطير في التاريخ ،د ط ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة دون سنة ص 06

4إبراهيم الكوني:نزيف الحجر ،ص 41

مواجهة أجشع مخلوق متلهف لأكل اللحم له قوة العدة و العتاد فهو مجهز بأحداث الأسلحة و المركبات في سبيل صيد "الودان."

إن أسوف برغم مما تعرض له لم يفقد إيمانه وصبره وظل على وصية والده في حماية الودان المقدس وكان يدعو الله تضرعا وخيفة بدعاء و الصلاة وهذا ما تجسد في الرواية : طوال الرحلة كان أسوف يصلي، ويقرأ الفاتحة ، ويدعو الله ألا يأتي بودان في طريقهم وما أن بلغوا الوادي حتى أمر قابيل بإيقاف السيارة . ترجل وتفقد آثار الودان .قال : أليست هذه آثار ودان ؟ نزل أسوف خلفه ، وقال متلعثما لا أظن ، هذه آثار الماعز رمقه قابيل بشك ،وسأل : آثار ماعز؟ هل هذه آثار ماعز؟[1] وقوله أيضا : أنهى صلاته – كرر مناجاته للجبل كي ينجي روحه ، التف خلفه الودان إختفى في تلك اللحظة ، انحنى قابيل فوق فضلات الودان ، بسطها في يده وقال غاضبا : "هل هذه أيضا فضلات ماعز"[2] فأسطورة أسوف رمز للصبر على مكائد والشدائد بالإضافة إلى الثبات على القيم والعقائد فهو بمثابة الآلهة الحارسة للصحراء وحيواناتها وآثارها.

فقد تعرض "أسوف" للكثير من الظغوطات من طرف "قابيل" وقد تجسد ذلك من خلال تلك النعوت والألفاظ النميمة وتجسد ذلك في : وقال أيضا : عجوز النحس . أربني كرامتك واهرب إلى الجبل في جلد ودان .أين كراماتك ياولي الله ؟! ياعبد العبيد ؟[3] !وقال أيضا : استمر قابيل يقرأ صحيفة الاتهام : ألا تستحي ؟ عجوز مثلك ويكذب ؟ أخبرونا في الواحات أنك الوحيد الذي يخبر معاقله في هذه الأراضي [4].

بالإضافة إلى : نهارك أحرف ياعجوز النحس ، أتظن أني مغفل ؟ تتغابى وتدعي أنك مرابط في حين تعتمد أن تخبئ عنا مواقع الودان ، هل تظن أني لم أكشف حيلك؟ بدأ أسوف يرتجف ، وانا ظهره عرق بارد ،هدد قابيل بقبضة يده ، ولوح بها في وجهه حتى لامس عمامته الشاحبة : إذا لم تدلنا على الودان نهارك أحرف ، سأريك النجوم في الظهر ، أنا لا أمزح . ولم يكتفي "قابيل" بذلك بل تجاوزه إلى التعذب الجسدي ومن ذلك ماورد في الرواية . قال قابيل : لن تفلت مني كما أفلت من جنود الكابتن بورديللو، لقد أخبرني الأهالي بالقصة .ولكن لا أصدق أنك تحولت إلى ودّان .أتفهم ؟ أنا لا أصدق أنك ولي ؟[5] انتهى من تقييد يديه ورجليه ثم وضع يديه في خصره ، فبدا مسدسه الأسود ،وصرخ إذا كنت وليا حقا كما يقولون ففك القيد واهرب إلى الجبل كما يفعل الودان .هل.ها...ها.ها .لو تحولت إلى ودّان فسأكون أول من يأكلك ها.ها...ها[6].

---

1 إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ، ص 87 ،88

2المرجع نفسه ص 87،88

3المصدر نفسه، نزيف الحجر ص108

4المصدر نفسه، نزيف الحجر ص106

5المصدر نفسه، نزيف الحجر ص105- 106

6المصدر نفسه، نزيف الحجر ص106-107

كذا في قوله : هات الحبل يامسعود . يومان وأنت تضحك علينا كالصغار ، الآن جاء دورنا كي نضحك عليك ياولد الكلب [1] فكانت نهاية أسوف أنه قتل مصلوبا على يد "قابيل" دون شفقة ولا رحمة وهذا ماتجسد في قوله : أصبح أسوف الآن مصلوبا منفرج الساقين والذراعين جسده يغطي الودان الأسطوري المهيب ويد الكاهن تلامس رأسه الحاسر من العمامة [2] وورد كذلك" : لوح قابيل بالسلاح في الهواء مهددا فتراجع مسعود .تسلق الصخرة من الناحية الأفقية ضحك في وجه الشمس بوحشية ثم انحنى فوق الرأس الراعي المعلق أمسك به من لحيته وجر على رقبته بالسكين بحركة خبيرة .... خبرة من ذبح كل قطعان الغزال في الحمادة الحمراء .لم يصرخ أسوف ولم يعترض ولكن مسعود هو الذي صرخ ، فتردد صدى الصرخة في القمم المجاورة ، استجابة الجنيات بالنواح في الكهوف وتصدع الجبل ، إسود وجه الشمس ،وغابت ضفتا الوادي في المتاهات الأبدية ألقى القاتل بالرأس فوق لوح من الحجر في واجهة الصخرة ،فتحركت شفتا أسوف وتمتم الرأس المفصول على الرقبة لا يشبع ابن آدم إلا التراب "[3] وفي هذه الاقوال قد تجلت النهاية المأساوية لبطل الرواية أسوف الذي قتل ولقي حتفه حتى تأثرت وحزنت لموته الجن و تغيرت ملامح الطبيعة منذرة بالهلاك والانتقام لموته.

_2أسطورة قابيل:

لقد تناول إبراهيم الكوني شخصية "قابيل"كشخصية تحمل نوازع الشر والطغيان وتمثل رمز الإستعباد والتجبر فقد ضمن لهذه الشخصية كل ماهو ذميم ويدل على مكره وطمعه في نهب ثروات الصحراء وخيراتها وقد وردت شخصيته على ثلاثة أشكال وهي ماتجلى في المتن الروائي كما يلي

: أ – **الطفل الملعون** : وتمثلت في الرواية في قوله " : فقال ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض لم تعد تعطيك قوتها ، تائها وهاربا تكون في الأرض "[4] كما أفرد الكوني فصلا خاصا بوصف "قابيل" بصفات غريبة لم يألفها البشر الذي عنونه ب " اللقيط " " مات الاب مطعونا بالسكين عندما حبلت به أمه ، وماتت الأم متأثرة بلدغة أفعى بعد ولادته بأسبوع ،ورثت تربيته خالته ، فسقته دم الغزال في إحدى الرحلات بالحمادة عملا بنصيحة أحد الفقهاء ، قال إنها التعويذة الوحيدة التي تستطيع أن تغسله من النحس وتحمي بقية أهله وأقاربه من اللعنة التي تلاحقه منذ أن كان نطفة في بطن أمه ،ولكن الخالة وزوجها ماتا عطشا في تلك الرحلة ، والتقطت قافلة عابرة الطفل الرضيع وهو يحشو رأسه في جوف الغزال من المصير الشقي الذي آلت إليه الخالة وزوجها ، ولم

1المصدر نفسه، نزيف الحجر ص105

2المصدر نفسه، نزيف الحجر ص108

3المصدر نفسه، نزيف الحجر ص146

4ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ص 05

يكن رب القافلة ليلتقط الطفل لو علم بماضيه ،ولم يخطر لم أن يكون "الملاك الصغير" سببا في نكبته بارت تجارته ، واستولى قطاع الطرق في الصحراء على قطعانه ، ونهبوا قافلة له[1] متوجهة إلى " تمبكتو."

حيث أن اللعنة التي رسخت في قابيل تعدته إلى أقربائه من أمه وأبيه إلى خالته وصولا إلى رب القافلة الذي حاول مساعدته فوجد نفسه معرضا للهلاك .ولم يعي سبب ذلك وهذا ماورد في المتن الروائي : داهمه اللصوص في عز الظهر ،وهو يقضي القيلولة ، في الواحات الوسطى الآمنة ،وكادوا يتمكنون منه لولا أن هب لنجدته أحد مساعديه المخلصين ،وأفزعهم بالرصاص اطلقه من فوهة البندقية العثمانية القديمة التي لم يسبق لها ان أطلقت رصاصة،ولم يظن أبدا أنه سيأتي يوم يحتاج فيه إلى نجدتها بين الأهالي المسالمين ، نجا بأعجوبة من كيد الأعداء ،ولكنه فقد ثروته المتنقلة والمنقولة عبر الصحراء الكبرى [2]ومن ذلك أيضا : لم يعرف سر البلاء حتى وجد إبنه بالتبني يأكل اللحم النيئ وأسنانه تقطر بالدماء في إحدى الرحلات التالية إلى "كانو" عرض أمره على السحرة فطلب الساحر أن يأتيه بشعرة من رأسه أو قطعة من ثوبه ،فنزع سوار الجلد من معصمه وقدمه للساحر وقال له إن سوار كان يطوق عنق الطفل [3]فقد تاه رب القافلة بين السحرة والكهنة والعرافين ليبحث عن علاج ليبطل اللعنة التي حلت بالطفل وهذا ماتجلى في قوله " : خرج من كوخ الساحر غاضبا ،وقصد بعد يومين أشهر العرافين ،سرد عليه قصة اللقيط " من البداية حتى حادثة اللحم النيئ ، فطلب العراف مهلة جاءه في الموعد المحدد أذهله جوابه ،قال بصوت واضح " : ياقابيل يا إبن آدم ،لن تشبع من لحم ،ولن تروى من دم ،حتى تأكل من لحم آدم وتشرب من دم آدم . وكرر العبارة الغامضة ثلاث مرات " [4]

كما ورد كذلك تشبيه"قابيل" بالهنود الحمر"يم يم"والتي هي مشهورة بحبها لأكل لحم البشر.وهذا ما تجلى في الرواية" :قابيل أيضا لقبه أقرانه ب"ابن يم يم"بعد أن اشتهر بحبه للحم النئ ويحدث عندما يتشاجر مع أولاد الجيران أن يشتموه :يامنحوس يا آكل لحم أمه وأبيه بالتبني,ستأكل كل اللحم الذي في الدنيا يا ابن يم يم الشيطان!.[5] ومن خلال هذه الأقوال يتبدى لنا أن الكاتب إبراهيم الكوني قد أحسن في تصويره لشخصية قابيل كأسطورة غريبة عجيبة حلت عليها اللعنة منذ الصغر وحلت هذه اللعنة على كل من له صلة به .وبذلك تعرض أهله للهلاك الواحد تلو الآخر ,هلاك أبوه مطعونا بالسكين وأمه ماتت بلدغة أفعى لتحل اللعنة على خالته وزوجها اللذان ماتا عطشا في الرحلة ليحل الدور على ذلك الرجل الذي رأف بحالة الطفل وحاول مساعدته فقد

1ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ص 91

2ابراهيم الكوني ، نزيف الحجر ص91, 92

3ابراهيم الكوني ،نزيف الحجر ص 92

4ابراهيم الكوني ،نزيف الحجر ص 92

5ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ، ص95

ثروته وتجارته وكاد أن يموت,غير أنه لم يمل من ذلك وضل مقبلا على العارفين ليبطل اللعنة دون جدوى .وبهذا فإن اللعنة التي لاتزال تراوده حتى نهاية حياته.

ب ــرضيع الدم :إن الطفل في فترة رضاعته يسقى من حليب الأم إلا أن "الكوين"في روايته نزيف الحجر"استحضر شخصية "قابيل"بذلك الطفل الذي شرب الدم وبهذا فهو يختلف عن الطبيعة البشرية ما أكسب الرواية بعدا أسطوريا يعكس توجه الكاتب وهذا ما نرصده في ثنايا الرواية–" : فسقته دم الغزال في إحدى الرحلات بالحمادة عملا بنصيحة أحد الفقهاء قال إنها التعويذة الوحيدة التي تستطيع أن تغسله من النحس وتحمي بقية أهل وأقاربه من اللعنة.[1] وفي موضع آخر" :وألقى بالمسوار الجلدي في النار وبقي يغمغم بلغة الهوسا طويلا,ثم تمتم محمر العينين– :من فطم على دم الغزال في الصغر لن يستقي حتى يشبع من لحم آدم في الكبر[2]وفي هذا يبين اكاتب أن قابيل قد سقي بدم الغزال في صغره والتي أوردته إياه خالتهضانا أنها تحميه من اللعنة غير أنه إزداد شراهة وتعلق بالدم واللحم على اختلاف أصنافه وأنواع وهذا ما تجلى في قوله :لحضتها فقط شعر جون ببشاعة جرب متهضد أجمل المخلوقات ولكن ماذا يفعل إذا كان لحم الغزلان مثل الأفيو,من ذاقه تعود عليه,ومن تعود عليه جن بدونه؟[3] فقابيل أصبح أكثر حبا اللحم وشرب الدم ولايستطيع العيش من دونه.

ج_ الطفل المرعب : فقد رسم الكاتب ملامح لشخصية قابيل تمثلت في كونه مرعب وغريب الأطوار وكل من صادفه ملئ رعبا وكذا تلك السلوكات والتصرفات التي توحي بغرابته ومن ذلك قوله " : ضحك الرجل حتى استلقى إلى الوراء .برز السلاح من حزام خصره ثم بصق عدة مرات على الأرض ،وقال بوحشية – : تفو....و...و. وهل تسمي لحم المعيز لحما ؟[4] "كما ورد في فصل الرواية الذي عنوته ب شيطان إسمه الإنسان هذا الذي هو عدو الكائنات سواء الإنسان أو الحيوان " . ماذا تظن ؟ ماذا يقول الغزال لنفسه وهو يرى عدو الكائنات ؟ يقول :" السهل وماذا يقول الودان عندما يتعرض لبلاء عدو الكائنات ؟ يقول : الجبل ، الجبل للغزال مصيدة ، والسهل للودان مصيدة "[5] . بالإضافة إلى ما أورده في فصله المنعوت ب " شبح الهملايا " حيث حدد ملامح " قابيل " قال " : ونزل طويل القامة أولا ، أشعث الشعر ، شاحبا ، ذابلا كأنه جاء من رحلة طويلة كأنها عبر الصحراء من تمبكتو حتى جبل نفوسة . تقدم نحوه ومد إليه يد قوية ، خشنة : دعنا نتعارف . اسمي قابيل

1إبراهيم الكوني :رواية نزيف الحجر–ص91

2إبراهيم الكوني:رواية نزيف الحجر_ص92

3إبراهيم الكوني : رواية نزيف الحجر.ص121

4ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ص 21

5ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ص24

آدم ورفيقي مسعود مسعود الدباشي[1] " وفي هذا القول أجمل الكوني مواصفات الرجل الغريب التي توحي بالشر والأذية

ومن ذلك أيضا ماورد في فصل الدعاء حين تلفظ " قابيل" بألفاظ ذميمة يسب فيها الصحراء في قوله " :أصر قابيل أن يرافقهما لاستطلاع الودان في الجبال المجاورة . أجلسه قابيل بينهما ، فتولى مسعود قيادة السيارة ،كان يمسح العرق عن جبينه ويلعن الصحراء بألفاظ بذيئة سمعها أسوف الأول مرة أول مرة يسمع أسوف رجلا يتلفظ بالعبارات البشعة ،ولم يفهم أي ذنب ارتكبته الصحراء حتى تستحق هذا السباب "[2]بالإضافة إلى قوله " : يهجم عليهم ،فيفرون ،يكشف عن أسنانه كي يخيفهم ، ويطقطق بها مقلدا زنوج " يم يم " فيبكي الأولاد ويهربون إلى بيوتهم ووجوهم صفراء من الرعب ، يفعل ذلك من باب المزاح ، ولكن لم يقدر له أن يرى ملامحه في تلك اللحظة ليشاهد مدى شبهه بزنوج "يم يم " الذين يتلذذون بأكل لحم البشر "[3]وفي هذا دليل على شكله المرعب الذي تمثل في وصف أسنانه وطقطقته ليشبه بذلك الهنود الحمر ,وهنا يشترك قابيل مع تلك الحيوانات المفترسة التي يخافها البشر وخاصة الأطفال .الطريقة عندما قرر قابيل أن يترك أكل اللحم,مضى شهر على قراره فتبدلت ملامحه,شحب لونه وذبل جسمه وبرزت وجنتاه,وعانى من الصداع والنوبات العصبية التي تشبه الصرع,تنتابه رعدة عنيفة,ويعلوا الزبد شفتيه,ويسقط على الأرض وهو ينتفض في هزات عنيفة كما تنتفض الدجاجة الذبيحة[4]

كما تجلى غضب قابيل من جراء إخفاء أسوف للودان مادفع به إلى ان ينعته بصفات ذميمة وقبيحة إلا أن قابيل تمادى أكثر وصولا إلى تقييده وضربه ومن ذلك قوله" : إزداد جحوض عيني قابيل ، تفصد الزبد من فمه .تصاعد جنونه .صاح : هات الحبل يامسعود يومان وأنت تضحك علينا كالصغار الآن قد جاء دورنا لكي نضحك عليك ياولد الكلب ".[5]حيث إستعمل قابيل كل وسائل التخويف من أسلحة وكذا نبرته الحادة في اخافة أسوف بغية اعترافه إلا أنه "أسوف" ظل على إنكاره مما استفزا قابيل وراح يجره بين الوديان وبين الجبال الوعرة ليجد أسوف نفسه مصلوبا بين الصخور .وهذا ماتجلى في المتن الروائي في قوله " : فقد قابيل صوابه ، لدغه الاستفزاز ، فهجم على ضحيته المقيدة من اليدين والرجلين ، وجره عبر الوادي الرملي . اتجه صوب الصخرة العالية التي ينتصب فيها الودان الأسطوري العظيم بجوار الكاهن الأكبر ." [6]ليصل قابيل الى مرحلة الجنون واللاوعي حين أقدم على قتل أسوف وهذا ماتجلى " : لوح قابيل بالسلاح في الهواء مهددا ،فتراجع مسعود ، تسلق الصخرة من الناحية الأفقية

1ابراهيم الكوني : نزيف الحجر ص41
2براهيم الكوني : نزيف الحجر ص 85
3براهيم الكوني : نزيف الحجر ص 95
4براهيم الكوني : نزيف الحجر ص 95
5ابراهيم الكوني، نزيف الحجر.ص 106
6ابراهيم الكوني، نزيف الحجر.ص 107

ضحك في وجه الشمس بوحشية ، ثم انحنى فوق رأس الراعي المعلق أمسك به من لحيته وجر على رقبته بالسكين بحركة خبيرة . خبرة من ذبح كل قطعان الغزلان في الحمادة الحمراء ".[1]فقد أجمع الكوني من خلال هذه الأقوال المقتبسة من النص الروائي لكل الصفات والملامح التي توحي ببشاعة مظهره وكذا سلوكه الذميم من خلال تلك الألفاظ والنعوت التي نعت بها أسوف ليصل الى حد سفك الدماء وأكل لحم البشر بغير حق.

د_ لذة أكل اللحم : إن " الكوني" في تصويره لشخصية " قابيل" الذي تعود على أكل اللحم بمختلف أنواعه وهذا إختلاف عن الطبيعة البشرية التي تجمع في غذائها بين الأكل النباتي و الأكل الحيواني إلا أن "قابيل" إزداد شراهة في أكل اللحم وهذا ماورد في قوله : ومع ازدياد الذبائح ،ازداد استهلاكه للحم ،لانه يفطر بشاة ويتغذى بشاة ويتعشى بشاة وربما اكثر من شاة إذا استضاف أحد الضيوف او عابري السبيل من الرعاة او الرحل او تجار القوافل ،ولم يتصور في يوم من الايام ان يتناقص الغزال الى هذا الحد ، لم يتصور ان هذا الحيوان الذي تعج به الصحراء يمكن أن ينقرض .[2] كما تلقى الدعم من قبل جون باركر باحدث الأسلحة التي تمكنه من صيد اكبر عدد من الغزلان في وقت قياسي وذلك لسد شراهته وهذا ماتجلى في الرواية" : ثم اهدى له "جون باركر" آلة شيطانية اخرى . مع دخول بنادق الخرطوش الى الصحراء ،تضاءلت فرصة الغزلان في النجاة ، واشرفت القطعان على الانقراض والفناء ، يذكر انهار الدم التي سفحها بعد حصوله على هذا السلاح ،ينحدر الى السهول المزحوم بالغزلان ، ويبدأ في الحصد ، طلقة واحدة تسقط مجموعة من الرؤوس يعيد الضغط على الزناد ، فتتساقط الشياه كما يتساقط البلح اثر احتكاك العراجين عندما تهرب العاصفة . العاصفة تجهض جنينها بضربة واحدة ،في إحدى الغزوات ثقب الخرطوش غزالة حبلى .فاحتملت برتمة صغيرة ،وصدرت عنها شكوى اليمة ،واسقطت الجنين ،واتهمكت تلعق الدم والمخاط عن جسد وليدها الصغير ،كانت الغزالة تنزف والوليد الجريح ينزف ،ويحاول ان يرفع راسه المثقوب بالخرطوش." [3]ولشدة طغيان قابيل لم تحده الحدود ولا تلك القوانين في اشباع رغبته واكمال صيده وهذا ماصرح به الكوني في قوله " : مسكين الغزال البري ،لايدري ان مجرد استخدام هذه الآلة الشيطانية خيانة للطبيعة واخلال بقواعد الصراع النبيل واحتكام الى أبشع انواع الحذيعة ،ولكن قابيل لا يفكر كثيرا في الإخلال بقوانين الطبيعة ،مايهمه هو أن يصطاد اكبر عدد ممكن من الغزلان ليطفئ لهيب اسنانه ،ويسكت جوفه ، ويبيع الباقي لضابط المعسكر الأمريكي "[4]فقابيل في مرحلة صيده الأولية كان يحظى بغزالة واحدة وفي بعض الأحيان يعود خائبا ،وبفضل تلك المعدات زادت حظوظه في الصيد وهذا ماتجلى في قوله :" في السابق كان يصطاد في الغزوة الواحدة غزالة واحدة ،اثنين اذا ابتسم له الحظ اما الان فانعكس الوضع ،اصبح يصرع كل

1ابراهيم الكوني، نزيف الحجر.ص 146

2ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 100

3ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 99

4ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 98

القطيع في غزوة واحدة ،ولا تنجو سوى غزالة واحدة او غزالتين اذا حصل الحيوان على ابتسامة من الحظ ! [1]وهذا ماجعل الحيوان الغزال في حالة ندرة وبالتالي كثرة اصطياده ادى الى انقراضه مما جعل الحمادة الحمراء خالية منه ، وقابيل يعاني الصداع والالم . وقابيل الذي أسرف في أكل اللحوم ،ودلل جسمه بألذ الأنواع ، لم يخطر بباله لحظة أن يجيء يوم ينفذ فيه ذلك الإحتياطي الرباني من الغزلان الذي تعج به الحمادة ، لم يقرأ حسابا لأن يرقد أشرس صياد عرفته الصحراء في فراش المرض عاجزا ،يعاني صداع الحرمان من اللحم[2]"

إن انقراض الغزال الذي تعود قابيل على أكله جعل الأبواب مغلقة في وجهه مما جعله يحاول أن يتخلى عن الأكل وأن يكبح تلك الدودة التي تنخر في اسنانه طلبا للحم ".ولكن مسعودا ادرك عقم عمله عندما استيقظ في اى الليالي على صوت صديقه وهو يبكي بصوت مسموع ويردد غائبا :لا استطيع ؛لا استطيع ؛لااستطيع؛ لم اعد احتمل .رافقه الى الخلاء؛واصطاد له غزالة اكلها في الليلة نفسها ."[3] وهنا جعل كل من قابيل وجون باركر يعترف بجرائمه البشعة في حق هذا الحيوان البريء "لحظتها فقط شعر جون ببشاعة جريمته ضد اجمل المخلوقات ولكن ماذا يفعل اذا كان لحم الغزلان مثل الافيون ،من ذاقه تعود عليه ،ومن تعود عليه جن بدونه ؟" [4]وفي موضع آخر ":ثم وجه كلامه لاسوف_ : اتعرف ان الجن يستولي على عقله اذا لم يدق طعم اللحم ؟ قال اسوف :

_اعرف،والدي رحمه الله حدثني بذالك.ادمان اللحم يسبب الجنون.هذا بسبب الادمان."[5] فشراهة قابيل في اكل اللحم لا حدود لها فقد راح يتجول في القفار باحثا عن ملاذا جديدا وفي وهذا ما تجلى في ثنايا الرواية.

دعاه الحيوان الخفي إلى رحلة ،تاها معا في الصحراء ،عبر به الحمادة وهو يمتطي ظهره ،عطش وجاع ،وحطم رأسه الصداع ،فوجد أن الودان العظيم قد طار به عبر أمواج بحر الرملة ، ودخل فلاة أخرى يغمرها السراب ، و تتدفق على كثبانها أشعة الشمس ، اشتد عطشه وجوعه وصداعه حتى كان يسقط من جسم الحيوان العظيم ،بلغ به الصحراء جبلية سفوحها الوعرة مفتوحة الأفواه بالتجويفات الظلماء والكهوف المعتمة ، تنقل الودان بين الصخور القاسية في رشاقة مدهشة ،هده التعب ،ولكن الجوع كان أكثر من كل الأمراض ،تململت الدودة الشيطانية في أسنانه ،فنهش رقبة الودان ، والتهم قطعة لحم ،ولكن الحيوان لم يتوقف عن القفز بين أحجار الجبال ،غرس أنيابه في رقبته ،ونهش قطعة أخرى ،واستمر ينتزع اللحم من جسده من دون أن يتوقف عن العدو ،بل سرعته تتضاعف مع نهشه حتى كفت حوافره عن ملامسة الأرض وظلت طائرة ،معلقة في الفضاء ،صعد الحيوات قمة جبل عالية ،فاكتشف أنه يجلس على ظهر رجل بائس لم يعرفه من قبل ، نحيل الجسم ،طويل القامة ،تقطر من رقبته الدماء ،

1ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 99 _ 100

2ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 138

3إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 96

4المصدر نفسه :ص121.

5المصدر نفسه :ص 42- 43

وقبل أن يفيق من هول التحول ،رفع الرجل نحوه وجها شقيا وقال له :"لا يشبع ابن آدم إلا بالتراب " ورمى به من القمة السماوية ، فوجد نفسه يطير إلى الهاوية."[1] قابيل عند ولادته وفي فمه قطعة لحم دليل شؤم على شراهته في أكل كل أنواع اللحم بداية من أكل لحم الغزال إلى أكل لحم الودان المقدس وصولا إلى أكل لحم البشر "أسوف " وهذا ما يمثل أسطورة "قابيل " الشخصية المرعبة منذ صغره إلى تغير ملامح البشرية واكتساب ملامح توحي بالوحشية والغرابة لينتهي به المطاف بأكل لحم أسوف الشخصية البشرية البريئة.

أسطرة الطبيعة

تعد الطبيعة بمختلف مكوناتها ملجأ للعديد من الكتاب الذي اتخذو من سهولها وجبالها وأرضها وسماءها وريحها وماءها وحتى نباتها وحيواناتها مادة لهم في ابداعاتهم فقد تغنى بها الشعراء الرومانسيين وحتى الادباء فقد عظموها وقدسوها وأضافوا عليها بعدا اسطوريا مثبتين هويتهم وعاكسين واقعهم ، ومن هؤلاء الأدباء نجد ابراهيم الكوني الذي تناول الصحراء الليبية بكل ماتحتويه من معالم الجمال ،والمتأمل لكتاباته يجدها تحظى بمكانة بارزة في روايته "نزيف الحجر" نلمس ذلك الحضور الجلي حيث أبدع واجاد في وصفها ويتجلى ذلك في" :وكثيرا ماسمعه في المراعي يردد موالا قال أنه سمعه من افواه الصوفية في زوايا "العوينات ." الصحراء كنزا مكافأة لمن أراد النجاة من استعباد العبد واذى العباد ، فيها الهناء،فيها الفناء، فيها المراد."[2] وفي هذا القول لخص الكوني السمانة التي تنفرد بها الصحراء كونها ملجأ لمن أراد أن يبتعد عن شر الناس وينفرد في عبادة ربي العباد حتى يحقق المراد لينتقل الى " : يهرب من الرمضاء ويحتمي بتجاويف الصخور لاهثا، يستلقي بعض الوقت ثم يزحف الى الجدار الصخري ،ويبدا يزيل طبقات الغبار حتى يكشف الخطوط المحفورة في الاحجار ،يستمر مسح الجدران الصماء حتى تطل الوجوه المقنعة او المستطيلة او تتضح الحيوانات الهاربة من سهام الصيادين المقنعين :الودان وغزلان وجاموس وحيوانات كثيرة اخرى ضخمة الحجم وطويلة السيقان لم يشاهدوها في الصحراء اليوم "[3] فهو يعبر عن معالم الصحراء وما تزخر به من آثار التي خلفها الانسان البدائي في تجاويف الصخور والكهوف بالإضافة إلى ذكر تلك الحيوانات التي يكثر اصطيادها في الصحراء.

لقد كان ابراهيم الكوني على دراية بكافة الحيوانات الموجودة في الصحراء وهذا ماجعله يجيد في وصفها وبين قدرة الله في خلقه وهذا ماتجلى في قوله " : الغزال اكثر الحيوانات حساسية ويقظة في الصحراء يشم رائحة الانس من ابعد مسافة ولا يقع تحت طائلة البصر الا مباغتة في عتمة الفجر او في الايام التي يموت فيها الهواء وتسكن الريح

1إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص 139.

2ابراهيم الكوني.نزيف الحجر ص 24

3ابراهيم الكوني.نزيف الحجر ص 26

تماما "[1] ويضيف قائلا:" هذا هو الغزال الذي حلمت به ،كما حلم كل اطفال الصحراء ،ان تمسكه بين يديك ، وتربت على رقبته الرشيقة ، تلامس شعره الذهبي ،تتامل عينيه الذكيتين الشقيتين وتقبله في جبينه وتظمه إلى صدرك .فيه سحر المرأة ،وبراءة الطفل ،تصميم الرجل ،ونبل الفرسان ،خجل العذراء وشقاء الصحراء ،رشاقة الطير وسر الخلاء " [2] كما استحضر لتلك النباتات التي تتأقلم ،ومناخ الصحراء ،وتجسد ذلك في قوله :" في متاهة العراء تتناثر اشجار سدر وطلح ورتم ، تنمو متباعدة في السهول وقد تتزاحم في بعض الاودية التي فازت بالسيول أخيرا ." [3]ويستمر الكوني في روايته في تعظيم الصحراء من خلال قوله :" بحثو عن مأوى يحميهم من شر الشمس ،الكهوف الظليلة تعتالي اعالي الجبل ،الطريق إليها يمر عبر الصخور ملساء واخرى متوحشة ،مسلحة باحجار كانياب الوحوش . بين الاحجار تتشبت أعشاب البرية عنيدة محاطة بألسنة رملية متناثرة ، على الرمل الناعم ارتسمت آثار الأفاعي والسحالي والعظاءات وجرذان الصحراء ."[4] لقد احاط ابراهيم الكوني في روايته"نزيف الحجر" بكل مكوناتها الصحراء بداية مناخها الجاف الى نباتاتها الشوكية وحيواناتها النادرة فقد نسج علاقة بين هذه المكونات في قالب جمالي ذا بعد اسطوري يوحي من وراءه الى قداسة الصحراء الليبية

أسطورة الحيوان

إن الإعتقادات بفكرة الآلهة في الأمم والثقافات الغابرة كانت مستمدة من الطبيعة سواء كان جماد بما فيها "شمس ،نجوم ،قمر أو كائنات حية مثل الحيوان فقد تقربوا إليه العبادة ومجدوه إلى حد التقديس و الأسطرة ،حيث أضفى لكل قبيلة إله خاص بها وهذا ما جسدته عقيدة الطوطم" : وهي عقيدة دينية بدائية انتشرت قديما بين قبائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية حيث تجعل الطوطم في منزلة الآلهة معتقدة بأنها منحدرة منها ، وقد يكون حيوانا أو نباتا يدافع عن صاحبه ويبعث إليه الأحلام الجميلة وصاحبه يحترمه ويقدسه فإذا كان حيوانا لا يقدم على قتله أو نباتا فلا يقطعه ،كما تعني الطوطمية عبادة الأسلاف من غير بشر ".[5] فهذه العقيدة انتشرت في البيئة الصحراوية بشكل واسع ما جعل الكتاب يستحضرونها في كتاباتهم وهذا ما نلمسه في ثنايا رواية "نزيف الحجر " لإبراهيم الكوني الذي اتخذ من الودان أسطورة المنقذ والحامي وكذا الجمال وقد تبدت ملامح الأسطورية في الرواية على مظهرين هما

1ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 97

2ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 97

3ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 123

4ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 125

5شريف بموسى عبد القادر ،أمل رشيد :الطوطمية في روايات إبراهيم الكوني حيوان الودان أنموذجا ،مجلة مقاليد ،العدد 09 ،جامعة تلمسان الجزائر ،ديسمبر 2015 ،ص 130.

أ– الودان المقدس : فقد اعتبر الباحث "هنري لوت " الودان من الحيوانات المقدسة عند أهل الصحراء ،وذلك في قوله :"يلوح أن المولفون كان يلعب دورا مهما في معتقدات سكان أهل الصحراء القدماء ، فاللوحات التي تمثل الوحش تملء جدران الكهوف....ورجل الطوارق الذي ينطلق لصيد الموفلون فإنه لا يخبر أحد حتى لا يجلب النحس لنفسه ويضع بعض الصيادين أحجارا على رؤوسهم وينطلقون قافزون مرددين بعض العبارات السحرية الغامضة." [1]وهذا ما تجلى في شخوص الرواية "والد أسوف " الذي أعطى عهدا على نفسه بحماية الودان وعدم تعليم نسله صيده ، والذي ينكث العهد تحل عليه اللعنة.

وهذا ما تجلى في مواضع منها " :عندما خرج أسوف لتأدية صلاته في مواجهة الصخرة المقدسة في وادي متخندوش بعدما ضايقته التيوس إنها صخرة عظيمة زينت بأبدع رسوم إنسان ما قبل التاريخ في الصحراء الكبرى كلها على طول الصخرة الهائلة ينهض الكاهن العملاق يخفي وجهه بذلك القناع الغامض ويلامس بيده الودان الذي يقف بجواره مهيبا ،عنيدا يرفع رأسه مثله مثل الكاهن نحو الأفق البعيد حيث تشرق الشمس وتسكب أشعتها في وجههما كل يوم "[2] وفي موضع آخر" : يطل الكاهن محفورا بالحجر الصلد واقفا في قامته الطبيعية ،بل يبدوا أطول وأضخم من قامة الإنسان الطبيعية ينحني قليلا نحو الودان المقدس الذي يفوق الودان العادي حجما ". [3]

ويقول أيضا" : لم ينتبه أسوف لقيمة هذه الصخرة برغم من أنه كان يمر أمامها يوميا ، لم يعلم بأن الكاهن المنحوت على الصخر وبجانبه الودان المقدس يحتلان كل هذه المنزلة حتى جاء اليوم الذي رأى فيه "إمرأة أوروبية تركع أمام الصخرة على ركبتيها وتتمتم بكلام مبهم عرف بالحدس أنه صلوات النصارى ".[4] وهنا تذكر أسوف كيف كان والده يمنعه من صيد الودان نظرا لقداسة هذا الحيوان وحرمة صيده التي تكلف صاحبه موته وحلول اللعنة عليه.

ونظرا لصعوبة العيش في الصحراء دون قوت اضطر والد أسوف أن يخلف بالنذر رأفة بزوجته الحامل ما تجلى في قوله " : ولكنه جاع ، جعنا معا سنوات الحفاف القاسية قبل أن تولد ،كنت حاملا ،فاضطر أن يخالف النذر ويصطاد ،بكى قبل أن يفعل ذلك ،سمعته بنفسي يبكي في الليل ،في الصباح ذهب وعاد بودان كبير سلخناه وأكلناه بعد جوع طويل ،قال إنه خان النذر وستعاقبه روح الجبال على ذلك ".[5]فكان عقاب والد أسوف من جراء إخلاف للنذر وصيده للودان أن حلت عليه اللعنة ولقي حتفه ما تجسد في" : وجد العجوز راقدا على ظهره

1ابراهيم الكوني نزيف الحجر : ص 131

2إبراهيم الكوني :نزيف الحجر،ص8

3إبراهيم الكوني :نزيف الحجر،ص11

4إبراهيم الكوني :نزيف الحجر،ص9-10

5إبراهيم الكوني :نزيف الحجر،ص 49

، وجهه يتجه نحو السماء ، ومقلتاه فارغتان ، وملامحه زرقاء ،يحوم عليه ذباب أزرق ،كبير الحجم ،لا أثر لنزيف ،ولا بقعة دم ،باستثناء خدوش في يديه الممدودتين بموازة جده ، لقد كسر الحيوان المسكون رقبته كما كسر هو يوما رقبة ذلك الودان الذي انتحر "[1] وفي هذه المقولات تجسيد لقداسة الودان وذلك من حيث تحريم صيده والعواقب التي تنجم عن الإخلاف بهذا النذر زيادة على ذلك صفاته الأسطورية ألا وهي قرونه الشيطانية ،و سرعته الهائلة في التنقل بين الصخور والجبال ،وكذا شراسته في المواجهة والتحدي.

ب– الودان المنقذ :لقد استحضر الكوني الودان في كونه المخلص والمنقذ لأسوف ولأبيه " فالطوطم يدافع عن قبيلته ويحمي اهله وينذر اصحابه قبل وقوع الخطر بعلامة او اشارة او حركة او عبارة اخرى يخلصهم من الخطر المهدد أو المحتمل "[2] تجلى انقاذ الودان في المتن الروائي في انقاذ الأب لأول مرة وشرعت تمخض الحليب في قربة بين يديها قبل أن تصرح بالسر في اختصار :" ابوك لا يريدك أن تسفك دماء الودان لأنه نذر نذرا من زمان ،قبل ان تولد كان يصطاد في سفوح الجبال (آينسيس) فزلقت رجله ووجد نفسه معلقا بين السماء والأرض ،يمسك بصخرة ورجلاه تتدليان في الهاوية ،فقد الأمل في النجاة فانتشله نفس الحيوان الذي كان يقاتله وينوي قتله وانقذه من الهلاك " [3] بالإضافة إلى انقاذ ابنه أسوف "هنا في الطريق ،قبل ان يبلغو العوينات ،حدث ماتناقله الأهالي ونسجو حوله الأساطير ،روى لهم الشباب ،فقالو انهم رأوا معجزة لأول مرة في حياتهم ،شاهدو انسانا يفلت من الأسر ويتحول الى الودان ،يعدو نحو الجبل ،يتقافز فوق الصخور في سرعة الريح غير عابئ بمطر الرصاص الذي ينهال عليه من كل جانب فهل رأيتم انسانا يتحول الى ودان ؟ هل رأيتم انسانا ينجو من الرصاص الطليان وهو يجري على قدمين حتى يختفي في ظلمات الجبآل ؟"[4]

ومن ذلك ماورد في ثنايا النص الروائي" : لم تبح يومها بسر الا بعد ان قام الوالد بغزوات فاشلة متكررة للفوز بالودان في الجبآل المجاورة في الرحلة الاولى تتبعها آثار قطيع كامل حتى أدركاه في قاع الوادي بدأت المطاردة ولم تسفر عن شيئ ،توارى القطيع في صخور آعالي الجبال و إختفى لاحظ قبلها أن الوالد لم يدقق التصويب فأجفل القطيع عمدا وفي المرة الثانية أدركا انثى ممتلئة وقفت قبالتهما ،فوقف والده وتبادل معها نظرة خفية ، ثم التفت اليه قائلا انها حامل وصيد الحوامل من الأنعام إثم كبير ، وعادا على عقبيهما وفي المرة الثالثة استطاع هو ان يكتشف مأوى ثلاثة رؤوس ترتع في شعيرات تشتبث بالسفح ،فأضطر ان يعطيه البندقية وعندما صوب أسوف سعل الأب بشدة فأجفل الودان وانطلقت الشياه واحتمت بصخور الجبل المجاور "[5] وفي هذا القول توضيح لسعي الأب في

1إبراهيم الكوني :نزيف الحجر،ص 34

2شريف بموسى عبد القادر ، أمل رشيد : الطوطمية في روايات ابراهيم الكوني – حيوان الودان أنموذجا .ص 133

3ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 48-49

4 ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 83

5ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 48

حماية الودان من الصيد والأخطار وتقديسه له حتى من ابنه أسوف وذلك لوعيه بقيمته وكذا عدم تعليم ابنه كيفية صيده.

ومن ذلك أيضا "ثم توقف الودان العظيم عن المشي رآه يرفع رأسه الضخم المتوج بالقرنين الخرافيين ، ويواجه ذلك الخيط الغامض الذي يبشر بالفجر البصيص الباهت الذي يحل فيه دائما سر الحياة ،وفجأة في عتمة هذا البصيص الرباني رأى اباه في عيني الودان الصبور العظيم . رأى عيني الودان الحزينتين ،الطيبتين اللتين لم تفهما لماذا يؤذي الإنسان آخاه الإنسان ،ففر إلى الصحراء واختار ان يموت وحيدا في الجبال على أن يعود اليهم العينان اللتان اختارتا الحرية القاسية دون ان تعرف لماذا في مكانه المكسو بالأحجار الشرهة ،صرخ بصوت مخنوق كأنه يناجي ربه . انت ابي لقد عرفتك انتظر اريد ان اخبرك "[1] فتبدت انقاذ الودان لأب في بداية ثم لأسوف على مرتين حيث أصبح الودان حاميا له وانحلت روح ابيه فيه وفي توظيف ابراهيم الكوني لأسطورة الودان إثبات للهوية الصحراوية وماتزخر به من آثار ومعالم وأساطير تثبت وجودها الفعلي في تصدي للثقافات الغربية الوافدة ، هذه الأخيرة تسعى الى طمس الهوية الليبية وهذا ماتجلى في اسطورة قابيل الذي يمثل كل نوازع الشر والطغيان وفي المقابل استحضر شخصية أسوف ليعكس شخصية الفرد الليبي الذي يقف صامدا في وجه المغتصب للأرض والعروبة متخذا من الطبيعة ميدانا خصبا لهذا الصراع.

1ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 70

ثانيا /التراث الديني

: إن الرواية العربية المعاصرة أصبحت تستلهم من النصوص المختلفة والخطابات المتنوعة مادتها ، حيث تتفاعل فيما بينها مكونة بناء جديدا مستحدثا مرتبط بجانب عقائدي ديني" .و التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدر سخي من مصادر الإلهام الشعري ،حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية ، و الأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني " [1]إن استحضار الأدباء والشعراء لهذا الموروث الديني بما فيه من قصص الأنبياء و الأحداث الدينية والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ماهو إلا مرآة عاكسة لشخصية الكاتب في كونه متشبع وذا ثقافة دينية متعصب لدينه ويحاول إبرازه في قالب أدبي " .ونعني بالتناص الديني تداخل نصوص دينية مختارة من القرآن أو الحديث الشريف أو الخطب أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي للرواية ،بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الروئي وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا أو كليهما معا"[2] فالراوي يختار من التراث الديني ما يتلائم ونص الإبداع بحيث تكون هناك علاقة وطيدة بينهما، وذلك في استخدام تعبيرا لحمل بعد من أبعاد تجربة الكاتب أو الشاعر ،وكذلك إضفاء جانب جمالي على الإبداع الأدبي .لقد اتجه إبراهيم الكوني إلى الاستلهام من التراث الديني ،فكانت رواية "نزيف الحجر "متضمنة لتلك الاقتباسات والتي شملت القرآن الكريم بالإضافة إلى القصص القرآني وكذا الأحاديث النبوية الشريفة.

– 1الآيات و السور القرآنية

إن القرآن الكريم وما يحتويه من حقائق وإعجاز لفظي وبلاغي جعله محط أنظار المبدعين نظرا لسحره وقوة تأثيره فهو يوقظ الضمائر الميتة ويحي القلب والعقل معا ويبعث في النفس الأمل من جديد ، ومنهم "إبراهيم الكوني " الذي استفتح روايته بآية قرآنية مأخوذة من الذكر الحكيم .قال تعالى وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)"3 ووردت في المتن الروائي في قوله" : وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير في السماء إلا أمم أمثالكم "[4] "والآية الكريمة تدل على

1علي عشري زايد :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دط، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1417ه ، 1997م،ص75

2أحمد الزعبي : التناص نظريا وتطبيقيا ،ط2 ،عمان ،الأردن ،1420ه، 2000م،ص37

3القرآن الكريم :سورة الأنعام ،آية 38

4إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ، ص6

قدرة وكمال الله تعالى بالإضافة إلى شمول علمه وسعة تدبيره وذلك في كونه قادر أن ينزل آية "[1] ففي هذه الآية تعظيم وتجليل لقدرة الله عزوجل هذا الذي خلق الكون في سبعة أيام وبعث المخلوقات ويسر رزقها لتشمل أضعف مخلوقاته التي تدب على وجه الأرض بما فيها الطائر الذي يطير بجناحيه .بالإضافة إلى تسمية سور القرآن الكريم بمخلوقات الله وهذا ما دل على رحمته التي وسعت كل شيء منها" :سورة البقرة ،الأنعام ،النحل ،النمل، العنكبوت ،الإنسان، الشمس ،الليل ،الفيل ،القمر النجم"..

إن الله عزوجل خلق هذه المخلوقات لخدمة بعضها البعض وأي اختلال بينها يؤثر سلبا على الحياة ،حيث دعا سبحانه وتعالى إلى تفكر في خلقه ومن ذلك ما ورد في كتابه الكريم" : أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ* (20) " 2وقوله تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)"[3]

وقوله تعالى" : وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (80)" [4]وقوله أيضا" :وفي الأرض آيات للموقنين (20) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (21) وفي السماء رزقكم وما توعدون وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(22) " [5]

-كما دعا سبحانه وتعالى عباده إلى أعمال العقل والتفكر والتدبر بغية طاعته دون غيره والابتعاد عن معصيته وهذا ما تجسد في خواتم السور والآيات في قوله تعالى:" أفلا تعقلون ، أفلا تبصرون ،أفلا تنظرون ، أفلا تدبرون ، أولا تعلمون".....

إن إبراهيم الكوني في توظيفه لهذه الآية يهدف إلى الارتقاء والجمالية وذلك من خلال : الأسلوب : اختار الكوني هذه الآية لدقة لغتها وإيجاز ألفاظها وتعدد دلالاتها .الدين : يعكس توجهه الديني وتشبعه بالثقافة الإسلامية "فالتراث الديني يشكل جزءا كبيرا من ثقافة أبناء المجتمع العربي لذا فإن أي معالجة للتراث الديني هي معالجة للواقع العربي وقضاياه "[6]

---

1 سليمان بن محمد الهيميد : تفسير سورة الأنعام (فوائد،منوعات ،فضائل ،أقوال) السعودية ،رفحاء ،مجلة رياض المتقين 4-11 - 1434هـ ،ص 55.

2القرآن الكريم : سورة الغاشية ،الآية من 17 إلى 20

3القرآن الكريم : سورة المؤمنون ،الآية من 12 إلى14

4القرآن الكريم : سورة المؤمنون ،الآية 80

5القرآن الكريم : سورة الذاريات ،الآية من 20 إلى 22

6محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط ، دمشق ، 2002، ص 139.

المتن : وذلك من حيث التقاء النص الروائي مع النص الغائب (القرآن) في فكرة واحدة ألا وهي "تقديس الحيوانات " ،حيث أن إبراهيم الكوني قدس الودان واعتبره أسطورة ،حيث سخر أسوف بطل الرواية لخدمته وحمايته والدفاع عنه ،فتعرض أسوف للكثير من المواقف الحرجة والألفاظ المجرحة في سبيل حماية الودان من الصيد.

2/ مفردات من القرآن الكريم

إن التوظيف الديني عند إبراهيم الكوني في روايته "نزيف الحجر " لم يقتصر على التصريح المباشر أو ما يسمى بالتناص بل تعداه إلى التلميح والإشارة ليثبت قداسة الدين الإسلامي ومنه قداسة روايته ، وذلك من خلال تلك المفردات في فصول النص الروائي ومن ذلك" : يحشو أسوف ذراعيه في رمل الوادي ويبدأ في التيمم لإنجاز صلاة العصر ، سمع هدير المحرك البعيد ، فقرر أن يسرع ويعطي لله حقه قبل أن يصل النصارى"[1]وكذلك قوله " : طوال الرحلة كان أسوف يصلي ،ويقرأ الفاتحة ،ويدعو الله ألا يأتي بودان في طريقهم وما أن بلغوا الوادي حتى أمر قابيل بإيقاف السيارة ترجل وتفقد آثار الودان " [2] وفي موضع آخر " حمد الله أن قابيل ومسعود لم يلحظا الحيوان العظيم ،وكي يداري ارتباكه ويشغل اهتمامهما ،رفع رأسه إلى أعلى وكبر للصلاة ،صلاة العصر ، أحس بأن الحيوان لا يزال يقف خلف ظهره، ويراقبهم من التجويف الصخري " [3] وكذلك قال " كان يجلس أمامه في ضوء القمر ليالي الصيف ،ويلقنه سورة الفاتحة كي تساعده في الصلاة ،كل يوم عليه أن يحفظ آية من الآيات." [4]

من خلالة هذه الأقوال نجده استحضر "الصلاة والدعاء " فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فكلما دعا الإنسان راجيا والمولى عزوجل تحققت أمانيه وأحلامه ، وهذا ما جسده أسوف بطل الرواية في تضرعه إلى الله بالصلاة والدعاء بغية حماية الودان من النصارى منهم "قابيل وجون باركر ومسعود."

كما نلمس في الرواية الألفاظ الدالة على قدرة الله وعظمته وذلك في قوله " : لا خوف عليك أنت الوحيد المفطوم على دم الغزال أنت روح الحلال والودان روح الجبال و الروح المحصنة من الروح بقدرة ربي " [5] بالإضافة أيضا" : وكيف لا يعرف وهو روح الجبال ؟ الأرواح من روح الله وبكل شيء عليمة ، تعلم ما يبطنه الإنس في القلب " [6] من خلال هذه الإقتباسات الروائية نجد اللفظ القرآني المتمثلة في "قدرة ربي " و تدل على مقدرة الله عزوجل في تسير الكون وقضاء حوائج البشر .واللفظ الثاني "روح الله وبكل شيء عليمة " تدل على أن الله عزوجل علام الغيوب و الأرواح كلها بيد الله فهو الذي يبعث الروح في عباده ويعلم ما يسرون وما يعلنون فلا

1إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص8

2إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص88

3إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص88

4إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص23

5إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص134

6إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص38

يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .وهذا ما ثبت في قوله تعالى " : وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (59) " [1] وفي موضع آخر نجد" : أليست حماقة تلك التي دفعته إلى أن يهجم على الودان المسكون ويلف الحبل حول قرنيه ؟ وإلا ما معنى تلك اللحظة ؟ هل هذا ما يسمونه القدر ؟ الأب والأم لا يملان من تكرار هذه الكلمة ،ولم يفهم معناها إلا في اللحظة ، القدر ،القدر السر المجهول الذي يأتي لك بودان يستدرجك إلى الهاوية " [2] استحضر إبراهيم الكوني فكرة الإيمان بالقضاء و القدر خيره وشره وذلك لتجسيد تلك الحالة التي آل إليها أسوف بعدما كان يحمي الودان ليصبح من المترصيدين به فالقضاء والقدر حقيقة حتمية عايشها أسوف .

كما استحضر إبراهيم الكوني أسماء بعض السور القرآنية منها :"الفاتحة ،الإخلاص" و القدر .وذلك في قوله : "عندما بلغ السابعة وقرر الأب أن يعلمه الفاتحة سأله- : هل تعرف أين الله ؟ أشار بإصبعه إلى الأعلى،وقال- : في السماء ضحك الوالد حتى استلقى على قفاه،وقال مشيرا إلى صدره : الله هنا وليس في السماء ثم تمتم كأنه يخاطب نفسه .في القلب ،معنا وفينا "[3] فقد وظف إبراهيم الكوني الفاتحة لما فيها من بعث للأمل و الاطمئنان في نفوس العباد وبها يتقرب العبد إلى ربه بالحمد والثناء عليه فكلما اقترنت هذه السورة بالنية الصادقة والقلب التقي تحققت الأماني .ولعظمتها ذكرها الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله" : وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (87)"[4] وذكره لسورة الإخلاص في قوله " : لقنه أيضا سورة "الإخلاص " قبل أن يموت بتلك الطريقة الفظيعة ،عاشوا في ترحالهم وتنقلهم وحيدين في الصحراء " [5] وظف سورة الإخلاص لعظمتها كونها تعدل ثلث القرآن من جهة وغرس القيم والمبادئ النبيلة من جهة أخرى وإكمال أسوف مسيرته في حماية الودان وعدم إخلافه العهد .وقوله أيضا : وسمع الوالد يقول غاضبا :"أجاور الجن ولا أجاور الناس ،أعوذ بالله من شر الناس "[6] يقدم أب أسوف نصائح بالإبتعاد عن الناس وكيدهم بالاستعانة بقوة وقدرة الله من شرهم والانعزال عنهم بهدف التقرب إلى الله و حماية الودان.

1القرآن الكريم :سورة الأنعام ، الآية 59

2إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص61

3إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 68

4القرآن الكريم :سورة الحجر ،آية 87

5إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 23،24

6إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 23،24

المتن الروائي	الصفحة	اللفظ الديني
-1بل انه رأى في إحدى المرات امرأة أوربية تركع أمام الصخرة على ركبتيها وتتمتم بكلام مبهم ،عرف بالحدس أنه صلوات النصارى	8-9	لفظ الركوع صلوات النصارى
-2لم يدر "أسوف " أنه أخطأ الاتجاه ،فلم يوجه ركعاته نحو الكعبة وإنما نحو الصنم الحجري المنتصب فوق رأسه ،في قعر الوادي العميق.	13	ركعاته الكعبة
-3قال : نعم ،لم يأت إلى متخندوش فيما مضى سوى النصارى ،أنا أرى المسلمين أول مرة .ضحك الرجل ،وقال معقبا :ومن قال لك إننا مسلمون .ارتبك أسوف مرة أخرى ،فسارع يداري ربكته بشد أطراف اللثام على وجهه . لاحظ الرجل ضيقه ،فطمأنه : أنا أمزح ،نحن مسلمون ،برغم أننا لانصلي ولا نزكي ولم نحج إلى بيت الله مرة واحدة.	18	النصارى المسلمين ذكر بعض أركان الاسلام : نصلي ، نزكي ، نحج الى بيت الله مرة واحدة
-4فوقف والده ،وتبادل معها نظرة خفيفة ،ثم التفت إليه قائلا إنها حامل ،وصيد الحوامل من الأنعام إثم كبير.	48	الأنعام تحريم صيدها
"-5يا رب أصعدت من الهاوية نفسي ،أحييتني من بين الهابطين في الجب" .	51	الهاوية

		الجب
-6أية قوة خفية ساقته لأن يشكل حبل الليف في رأس الحيوان الجبار ،العاتي فيربط مصيره بمصيره إلى الأبد ؟ هل هذا أيضا كان المكتوب في اللوح منذ قديم الزمان ، قبل أن يتكون في جوف أمه ويولد في الدنيا القاسية ؟	58	اللوح
-7لن نسمح أن تقدم الأم الكبيرة نفسها قربانا فنفقد الرأس المدبر الذي هدانا ويهدينا الصراط المستقيم ،ثم أنها نحيلة ،عجفاء ،ليس فيها قطرة دم واحدة.	112	الصراط المستقيم
-8طأطأ جلولي رأسه ،وحاول أن يتخلص ،فاعترضه جون ،تمتم الشيخ بألم ، كيف تدعي الديانة بدين المسيح وهو بريء منك؟ لا أنت منه ولا هو منك.	121	الدين المسيحي
-9في ضوء الفنار الخافت ،رأى تلك العينين ،هل همستا له بسر الخلق ؟ هل تحدثنا عن تكون الصحراء والكون ؟ هل قالتا شيئا عن اليوم الآخر ؟ هل سردتا رواية عن خيانته للغزال ؟ هل وعدنا بالقصاص ؟ تبادل معها الخطاب والأدوار غاب فيهما وغابتا فيه ،فلم يعرف أين هو ولا من هو –هو الودان ،والودان هو قابيل	139-138	اليوم الآخر القصاص قابيل

3 /قصة قابيل وهابيل:

لقد وردت قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى :وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27 (لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ(31) " [1]حيث وردت هذه القصة في القرآن الكريم أن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل ،فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه ،وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى قابيل ، فأمر آدم عليه السلام كل من قابيل وهابيل أن يقربا قربانا ،فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم ،وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه ،فنزلت نار فأكلت قربانا هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي ،فقال : إنما يتقبل الله من المتقين "[2] فقد وردت القصة في النص الأصلي ليبين الله تعالى أول جريمة ارتبكها بني آدم على وجه الأرضة،وبهذا حرم الله عزوجل القتل لما له من سفك لدماء بغير حق وقتل للروح التي بثها الله تعالى في عباده .ومن ذلك قوله تعالى:" مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)" 3 استلهم إبراهيم الكوني قصة قابيل وهابيل في روايته نزيف الحجر وقد تجلت في الرواية " : وحدث إذ كانا في الحقلةأن قابيل قام على هابيل أخيه وقتلهو،فقال الرب لقابيل : أين هابيل أخوك ؟ فقال: لا أعلم ،هل أنا حارس لأخي ؟ فقال : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض ،فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك ، متى علمت الأرض لا تعود تعطيك قوتها ،تائها وهاربا تكون في الأرض "[4] وكذلك وردت في موضع آخر في قوله " : يا قابيل أين أخوك هابيل ؟ " [5] بالإضافة إلى ما ورد أيضا في الرواية

1القرآن الكريم :سورة المائدة ،الآية من 27 إلى 32

2عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي ،تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل :قصص الأنبياء ،ط2، دار الإمام مالك للكتاب ،الجزائر ،1432هـ،2011م ص48 ،49 بتصرف

3القرآن الكريم :سورة المائدة ،الآية من 27 إلى 32

4إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص5

5إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص149

فأومأت الذات الإلهية بقبول قربان هابيل وتفضيله على تقدمة قابيل مما أثار قابيل فكرة قتل أخاه وقام عليه وقتله " [1] جسد إبراهيم الكوني هذه القصة لتكون بذلك الإطار الذي تقوم عليه الرواية في تصوير الخلاف الأزلي بين بني البشر القائم على الكراهية والحسد والحقد و البغضاء، لينتقل هذا الخلاف ليشمل فصيلة الحيوانات البرية البريئة ألا وهو الودان "وسعي البشر لانتهاك حرمة الحيوانات النادرة ومحاولة محو أثرها على وجه الأرض بغية اشباع الذات البشرية الشريرة الجشعة التي ترضى بالقليل .وهذا ما جسد في بطل الرواية "أسوف " الذي كان يقديس الودان ويحميه من الأخطار حيث عرض أسوف لمواقف صعبة تارة ومواقف حرجة تارة أخرى في سبيل بقاء الودان على قيد الحياة ، حيث ضلل كل الطرق المؤدية إلى الودان مما جعل قابيل تائها في الصحراء وبين الجبال كالمجنون.

4/ توظيف الحديث الشريف :

يعد الحديث النبوي الشريف ثاني الكتب المقدسة بعد القرآن الكريم يتمثل في جل الأحاديث والمرويات التي تناقلها الرواة عن خير الأنام محمد –صلى الله عليه وسلم – فكانت مفصلة وشارحة لما ورد ذكره في القرآن الكريم ،شاملة للعبادات والطاعات ،ميسرة للمعاملات مهذبة لسلوك ،دليل المسلم في دنياه وآخرته فكانت –صلى الله عليه وسلم – وسنته محط أنظار أهل العلم والعرفان مقتدين بسيرته وحياته وأحاديثه ما أضفى على نصوصهم بعدا فنيا جماليا .ومنهم إبراهيم الكوني في روايته نزيف الحجر حيث لم يكتفي من النهل من القرآن الكريم بل تعداه إلى الوحي الثاني ألا وهو الحديث النبوي وهذا ماتجلى في المتن الروائي" : أبوه أيضا أوصاف بالقلب قبل أن يموت ،كان يجلس أمامه في ضوء القمر في ليالي الصيف ،ويلقنه سورة الفاتحة كي تساعده في الصلاة ،كل يوم عليه أن يحفظ آية من الآيات ،وعندما حفظ السورة كلها ،قال له :"عليك بقلبك ،ماذا ينفع ابن الصحراء إذا أضاع قلبه ، من يضيع قلبه يضيع بين الناس ، لأن الصحراوي لا يعرف مكائد الناس "[2] وفي هذا القول يتضح سعي أب أسوف لصقل إبنه بتلك القيم الإيمانية والروحية التي تنفعه في دنياه وآخرته مهتد بقلبه متقربا لربه خاشيا لمولاه متفردا لعبادته مخلصا له بعيدا عن شهوات الدنيا و مكائد الناس .وفي هذا تلميح لفكرة مفادها أن صلاح القلب من صلاح العبد وقوة ارتباطه بربه .وبه (القلب) يتأقلم أسوف مع شقاوة الصحراء و متاهاتها.

1إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص151

2إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص 23

ويلتقي القول الروائي مع الحديث النبوي الشريف ،الذي يقول فيه الرسول –صلى الله عليه وسلم" :ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " [1] كما استحضر إبراهيم الكوني في نصه الروائي الحديث نبوي آخر يجسد فيه غريزة ابن آدم وجشعه ورغبته في التملك والسيطرة التي تصل إلى حد سفك الدماء وهذا ما تجلى في عنوان الفصل العشرين تحت عنوان"لن يشبع إبن آدم إلا من التراب ."وفي موضع آخر– : العراك نشب فجأة فبعد عودتهم من رحلة الاستطلاع الخائبة على أسوف على شراهة قابيل بعبارة عابرة قال : سمعت أبي يقول إن ابن آدم لن يشبع إلا بالتراب[2] " ولم تكن العبارة لتستفز قابيل لو لم يعودا فاشلين من الغزوة اندفع نحو البدوي وصرخ بغضب .ماذا تريد أن تقول يا راعي الغنم ؟ تراجع أسوف خطوات إلى الوراء ، وردد ببلاهة – .قلت إن أبي يقول إن إبن آدم لن يشبع إلا بالتراب " كما ورد أيضا– : من فطم على دم الغزال في الصغر لن يستقيم حتى يشبع من لحم آدم إلا في الكبر " [3] وذلك قوله :يا قابيل يا بن آدم لن تشبع من لحم ولن تروى من دم حتى تأكل من لحم آدم وتشرب من دم آدم "[4] وفي هذه الأقوال يوضح الكاتب غريزة المستعمر الغربي والتي تجسدت في المتن الروائي في شخصية "قابيل " الذي راح ينهب من خيرات الصحراء الليبية التي كانت تنعم بتلك الثروة الحيوانية النادرة إلى أن ترصدها وأصبحت خالية على عروشها.

ومن ذلك قوله" : ثم انحنى فوق رأس الراعي المعلق ،أمسك به من لحيته وجر على رقبته بالسكين بحركة خبيرة خبرة من ذبح كل قطعان الغزلان في الحمادة الحمراء ،لم يصرخ أسوف ولم يعترض، ولكن مسعودا هوالذي صرخ ، تردد صدى الصرخة في القمم المجاورة ، –استجابت الجنيات بالنواح في الكهوف ،و تصدع الجبل ،اسود وجه الشمس و غابت ضفتا الوادي في المتاهات الأبدية ، ألقى القاتل بالرأس فوق لوح من الحجر في واجهة الصخرة ،فتحركت شفتا أسوف ،وتمتم الرأس المقطوع المفصول عن رقبته ، "لا يشبع ابن آدم إلا التراب!"[5] ويلتقي هذا القول مع الحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه –صلى الله عليه وسلم – "إن الله عزوجل قال إن أنزلنا المال لإقام الصلاة وإتاء الزكاة ، ولو كان لإبن آدم واد لأحب أن يكون إليه ثان ،ولو كان له واديان لأحب أن يكون إليه ثالث،ولا يملء جوف ابن آدم إلا التراب ،ثم يتوب الله على من تاب "[6] –وهذا ما أكد عليه الله

1الإمام محي الدين أبي زكرياء يحي بن شرق النووي ،صحيح مسلم ،مج 1_ باب الإيمان ،مطبعة المنصورة (د ط) 2006 ص 52

2المرجع نفسه ص52

3المرجع نفسه ص52

4المرجع نفسه ص52

5محمد ناصر الدين الالباني : سلسلة الاحاديث الصحيحة ،ج 3 ،مكتبة المعارف ،د ط ،1995 ص50

6 المرجع نفسه ص50

عزوجل في محكم تنزيله " : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب(14) " [1]

إن إبراهيم الكوني قد استلهم من الحديث النبوي الشريف ومن ذلك قوله " : عندما بلغ السابعة وقرر الأب أن يعلمه سورة الفاتحة سأله : هل تعرف أين الله ؟ أشار بإصبعه إلى أعلى،وقال : في السماء .ضحك الوالد حتى استلقى على قفاه ،وقال مشيرا إلى صدره : الله هنا وليس في السماء .ثم تمتم كأنه يخاطب نفسه : في القلب ،معنا وفينا " وفي هذا القول يتجلى لنا حرص والد أسوف على ترسيخ تعاليم الدين الإسلامي لابنه منذ صغره ، حيث تعتبر مرحلة الطفولة هي مرحلة التلقي والاكتساب وبداية النضج والوعي، فحفظ القرآن الكريم في الصغر كالنقش على الحجر وهذا ما أكد عليه الحديث النبوي الشريف الذي فيه –صلى الله عليه وسلم" : – مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ،و فرقوا بينهم في المضاجع"[2]

وقد استلهم الكوني هذا الحديث وذلك لبين طبيعة الإنسان والتي تتمثل في الجشع والطمع وعدم الرضى وعدم القناعة بماهو موجود ،وسعي إلى إشباع غريزته دون مراعاة لتلك الآثار الجانبية التي تنجم عن ذلك .كما وضح جشع قابيل الذي لا حدود له فقد ترصد بكل قطعان الغزال في الحمادة الحمراء ليزداد رغبة في اصطياد الودان [3] ليزداد وحشية وعدوانية في سفك الدماء ،فقد هدر دم "أسوف" دون شفقة ولا رحمة– .ويبين الحديث النبوي الشريف أن "الله عزوجل " سخر للإنسان كل ما يحتاجه في سبيل العيش وعليه أن يستغلها بعقلانية وينصرف إلى عبادة الله ،بعيدا عن لذته واتباع غريزته .ومنه فإن التراث الديني لدى إبراهيم الكوني في روايته نزيف الحجر ،قد حظي بنصيبه الوافر في المتن الروائي وتبدى ذلك من خلال– : القرآن الكريم : فقد اقتبس آيات من الذكر الحكيم بالإضافة إلى حضور مفردات قرآنية في النص الروائي

– .القصص القرآني فقد استلهم قصة "قابيل وهابيل" لتمثل لجشاعة المستعمر في نهب الثروات والممتلكات – .

الأحاديث النبوية :استحضر ثلاث أحاديث نبوية شريفة كلها دارت حول ترسيخ القيم الإيمانية في سن السابعة ،وكذا تبيان مركز الإيمان ألا وهو القلب ليخلص في النهاية إلى القناعة والرضى وعدم الطمع .وهذا التوجه يعكس هوية إبراهيم الكوني ومدى تشبعه بالثقافة الإسلامية وحرصه على تجسيدها في كتاباته كما أضفت هذه الإقتباسات جانبا فنيا وساهمت في بناء المتن الروائي.

1المرجع نفسه ص50

2جد عمر بن شعيب الالباني : صحيح ابي داود ،دط ،صفحة 495

* 3الودان أو (الموفلون) أقدم حيوان في الكبرى ، وهو تيس جبلي انقرض في أوروبا في القرن السابع عشر.

ثالثا /التراث الصوفي

لقد حظي التراث الصوفي باهتمام كبير من طرف الأدباء والمبدعين وذلك لأن "الصوفية رسالة إلهية تقوم ليس في الكلمات بل في النور الرباني وفي الطاقة الربانية اللتين تشفيان الروح إذ تمنحاه سكينة وسلام الرب "[1] فالصوفية طريق للسمو بالنفس وجهادها على التخلي عن تلك الشهوات والملذات والرقي بنفسه في ملكوت السموات والأرض والتماس القدرة الإلهية" .فالتصوف يؤمن بالله الذي تكون منه نفسه ،الله حوله وفي نفسه "[2] فنجد أن فئة المتصوفين يتدبرون دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه بداية من أنفسهم وذلك من خلال نعمه التي لا تعد ولا تحصى وصولا إلى أصغر وأعظم مخلوقات .وكثيرا ما نجدها أكثر انعزالا ووحدانية بهدف أعمال العقل والتأمل في أسرار الكون " .عندما يستطيع المرء أن يرى الإله في كل شيء–حينئذ يكون هو يرى الإله حقا"[3] والمتأمل في الكتابات الصوفية يجدها حافلة بالحديث عن التصوف هذا الذي مثل الجانب الأهم في إبداعاتهم واتخذوا لغة خاصة للتعبير عن مكنوناتهم " .فقد توسعوا في أشكال التعبير التي سمحت بها اللغة وشكلوا نسقا خطابيا مختلف المكونات والظواهر النصية ،من شعر وقصص وأدعية ومناجيات وحكم وأخبار قصد بلوغ هدف معين هو التعبير عن تجربتهم في الاتصال " [4] فقد تعددت الخطابات الصوفية التي تتمحور حول الإله والتقرب إليه والتضرع له والزهد في الحياة الدنيا معبرين بلغة مستوحاة من العقيدة.

ولقد تأثر بهذا المذهب ثلة من الأدباء والشعراء مستلهمين نظرياتهم وتصرفاتهم وكذا رموزهم الصوفية ومن هؤلاء "إبراهيم الكوني " في روايته "نزيف الحجر " فقد استحضر هذا المذهب من خلال .

1- مصطلحات صوفية

لقد اختلفت المفردات والألفاظ الصوفية عن الألفاظ المتداولة العادية " .فقد عبروا عنه بالطريقة ، وهو اللفظ الذي دلوا به على الطريق إلى الله وهي بهذا المعنى أقرب إلى الموقف من الحياة والسعي نحو عالم خاص هو عالم الشعور ،وليس مجرد قواعد باردة يطبقها الصوفي في موضوعه دون أن يلزم حياته بها " [5] وتتجلى تلك المصطلحات الصوفية في المتن الروائي في قوله" : وسمع الوالد يقول غاضبا :أجاور الجن ولا أجاور الناس."أعوذ بالله من شر

1حضرة عنايات خان: تعليم المتصوفين ،ترجمة إبراهيم استنبولي ،ط1،دار الفرقد ،سوريا دمشق ،كانون الأول2006 ،ص 27.

2المرجع نفسه : ص27.

3المرجع نفسه : ص29.

– 4آمنة بلعلى : تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ،ط1،الدار العربية للعلوم ،الجزائر العاصمة ،1431هـ2010–م،ص22.

5آمنة بلعلى :الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي ،من (القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين) ،دط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2001ص 21

الناس "وكثيرا ما سمعه في المراعي يردد موالا قال إنه سمعه من أفواه الصوفية في زوايا العوينات ،الصحراء كنز مكافأة لمن أراد النجاة من استعباد العبد وأذى العباد فيها الهناء فيها الفناء "[1] ففي هذا القول نجده قد ضمن لفظ "الصوفية " المستوحى من التراث الصوفي بالإضافة إلى الخاصية التي ينفرد بها المتصوفون ألا وهي الإنفراد والانعزال وهذا ما تجسد في بطل الرواية "أسوف "الذي اختار الوحدة على مخالطة الناس ومعاشرتهم فكانت الصحراء فضاءه الروحي وفردوسه الأرضي .وفي موضع آخر من الرواية نجده يقول" : وكان يسبل جفنيه ،ويتمايل يمينا ويسارا مقلدا شيوخ الصوفية عندما يقعون في نوبات الوجد "[2] وأيضا قوله " :ماهذا الانتشار ؟ هل هذا هو الوجد الذي تثيره الأغاني و الموسيقى ودقات طبول الصوفية في الواحات التي حدثه عنها الولد ؟"[3] وكذلك أيضا : "الصوفيون الحكماء في الواحات هزوا رؤوسهم من الوجد، وألقوا بالبخور في النار وأجمعوا ذلك ولي من أولياء الله " [4] وقوله أيضا :ذلك كان أول لقاء بين أسوف وأهل الواحات ،توجه إلى(مساك ملت) حيث ترعى جماله هناك فتح له الله بابا لا يفتحه إلا لأوليائه " [5] من خلال هذه الأقوال يتضح لنا استحضار الكوني لخاصية بارزة عند الصوفية وتتمثل في الوجد الذي يعني" : فضاء تعبيري بالحركة والكلام عن اللحظات الفناء التي يصل إليها الصوفي عند اكتمال التجربة الصوفية.....فهو مكاشفات من الحق في شكل حركات أو مستغربة هي معروفة بالشطح."[6] والكوني في توظيفه لهذه التصرفات يعكس كل من الشخصية الرئيسية أسوف ووالده في حضرة الفناء والتعبد و التوبة من جراء الإخلاف بالنذر فبعد الخطيئة التي ارتبكها والعقاب الذي حل به جعله يعود إلى الطريق الهداية والتوبة.

2- الفرق الصوفية :

هي مجموعة من الأفراد اعتنقت هذا المذهب وآمنت به ودعت إليه ساعدة في انتشاره و الحفاظ عليه وحمايته ، ومن هؤلاء الفرق نجده استحضر "الدراويش :" هل كان دراويش صوفية يقرأون الغيب في رؤياهم عن الولاية والحلول ؟[7] وقوله أيضا " : وفي عينيه خشوع المسلم عندما يصلي ، يتلفظ برطانة غير مفهومة يخاطب رفاقا لا وجود لهم ، يضرب كفا بكف ، يقفز في الهواء كالدرويش ويوجه إليه كلاما غير مفهوم ، ينسى نفسه تماما وعندما

1إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص24
2المرجع نفسه ص 24
3المرجع نفسه ص 57
4المرجع نفسه ص 84
5المرجع نفسه ص 84
6آمنة بلعلى :تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ،ص180
7إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 84

يعود من غيبته إلى الدنيا يبتسم له معتذرا " [1] ومن ذلك أيضا قوله : قالوا : إذا حلت مصيبة واندثر الغزال في الصحراء ولم تبقى سوى شاة واحدة فلا شك أن قابيل سيكون آكلها ،وسردوا الأساطير على نهمه وحبه للحم ،الدرويش قال بلغة غامضة : في فم هذا المخلوق دودة تجعله يأكل نفسه إذا لم يجد لحما يأكله "[2] فالدروشة فئة متصوفة عانت الفقر والحرمان فاتخذت التصوف ملاذا لها لسد جوعها وتلبية حاجياتها بتلك القيم الإيمانية والعقائدية وهذا ماحدث مع بطل الرواية "أسوف ووالده " الذي كان فقيرا درويش لايملك قوت يومه .كما استحضر لفرقة أخرى تعرف بالتيجانية" : فقال له وهو يقف بعيدا عن الجمهرة : انظر إلى زنادقة التيجانية[3] كيف يخترعون البدع ويسيئون إلى التصوف والإسلام "[4]

القادرية : هي فرقة صوفية نسبة إلى العالم الإسلامي "عبد القادر الجلاني "الذي أسس هذه الحركة في 12 ميلادي .وقد استلهمها إبراهيم الكوني في الرواية وتجلت في قوله" : جون قرأ تناحر الطرق الصوفية في شمال إفريقيا وعلم من الدرويش أنه من أتباع الطريقة القادرية وهذا ما جعله يحظى بالإضطهاد ،إذا ألب عليه شيوخ التيجانية الأهالي وقد فوجئ "جون باركر " ليلتها بآراء ذلك الدرويش عندما قال له مسألة حلول الله في الكائنات الأرضية "[5] وقوله أيضا " :علمه درويش القادرية أسرار كثير عن الحياة ، وبعد أن توطدت علاقته بقابيل وأصبح يزوده باللحم الغزال اكتشف أن الرجل مثله مثل البوذيين في التبت والهملايا" [6] فالكوني متشبع بالثقافة الصوفية وهذا ما جعله على دراية بتلك الطرق الصوفية التيجانية والقادرية ليعطي الرواية بعدا جماليا فنيا يوحي بإعمال العقل والفكر لذلك التوجه الفكري الذي يدعو إليه.

3/ النظرية الصوفية

لقد أسس المتصوفة لنظريات مفادها أن الله موجود في كل المخلوقات وكذا الكون وقد استمدوا هذه الفكرة من تأملهم وتدبرهم في أسرار الخلق والكون وبهذا آمنوا بها ودعوا إليها ومنهم ابن عربي ، الحلاج ،ابن الفارض ، السهروردي....الخ .وتتلخص في نظرية الحلول والإتحاد هذه التي تعني أن الله موجود في كل شيء و متحد مع مخلوقاته الإنسان ،النبات ،الحيوان .وقد تجلت هذه النظرية في عدة مواضع نذكر منها " :يقتات على العشب حتى ينسى طعم الطعام ، والخالق أكثر ميلا للحلول في المخلوق المتوغل في البرية ، المقطوع في الخلاء ، ويبتعد

1المصدر نفسه 46

2المصدر نفسه 117

3المصدر نفسه 117

4التيجانية طريقة صوفية أسسها في القرن 19 أحمد التيجاني.

5إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص 118

6المصدر نفسه :ص 118 -119

حتى عن الحيوانات التي تستأنس الناس ولا تختار منفى البرية " [1] وقوله أيضا :وأدهشه إجماع المتصوفة على اعتقاد أن الأنعام أجدر بالولاية وتقمص الروح السماوية من بقية المخلوقات ،فوجد سندا قويا لتعاليم "الزن" البوذية في هذا الرأي "[2] ضف إلى ذلك قوله" : في طريق العودة ،باغته جون بالسؤال- : هل يسكن الله الغزلان في طريقتكم ؟ -صمت طويلا ،ثم قال كأنه يحدث نفسه - : كل الأرواح مسكونة بالله وحرصه تعالى في الغزلان أمر من قبيل الزندقة "[3] قوله أيضا " : قال له مواصلا مسألة حلول الله في الكائنات الأرضية - : خلافنا معكم يا معشر المسحيين يكمن هنا أنتم تقولون إن المسيح هو الله وتحصرون جلالته في مخلوق واحد في حين نرى أنه موجود في كل الناس ،بل في كل الكائنات ديننا أعدل من دينكم "[4] وفي هذه الأقوال قد جسد إبراهيم الكوني مسألة حلول الله في مخلوقاته وهذا من انتاج المتصوفين الذين يرون أن الله موجود في كل ما يحيط بهم .وهذا ما يثبت حقيقة مفادها أن إبراهيم الكوني ذا ثقافة صوفية علما بشيوخها وفرقها (القادرية ،التيجانية)، بالإضافة إلى تصرفاتهم عند بلوغ اللذة الإيمانية المتمثلة في الوجد ، وكذا و المواويل الحزينة التي كانوا يلقونها إثر معايشة اللحظة وصولا إلى نظرياتهم منها:"نظرية الحلول والإتحاد " فالذات الإلهية تنعكس في الكائنات الحية.

1إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 116

2المصدر نفسه : ص 116

3المصدر نفسه : ص 117

4المصدر نفسه : ص 118

رابعا /التراث التاريخي:

يعتبر التاريخ محط للوقائع والأحداث التي جرت لأمة ما وما عاشوه في فترة زمنية مضت فيكون هذا كحدث خام ليبقى محافظا على ذكرى تلك الحادثة ويمجد الأبطال وانتصاراتهم فما من أمة إلا ولها تاريخ تعتز به فأمة بلا تاريخ أمة بلا حاضر و بلا مستقبل ،فالموروث التاريخي شامل للوقائع والشخصيات و الانتصارات والهزائم والعهود والإتفاقيات.....الخ" .إن التاريخ ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصريها إنه إدراك الإنسان المعاصر أو حديث له فليس هناك إذن صورة جامدة ثابتة لأية فترة من هذا الماضي "[1] فالراوي أو المبدع يستلهم من التاريخ ما يخدم موضوعه ويضيف عليه جانب تخيلي والهدف من وراء ذلك هو بث روح الشجاعة في نفوس المعاصرين وكذا تمجيد التاريخ وربط الإنسان المعاصر بتاريخ أمته فهو يذكر التاريخ لامن أجل الماضي وإنما لتغيير الحاضر والمستقبل- .نجد "إبراهيم الكوني " في روايته نزيف الحجر ،فبرغم من أنه لم يصرح تصريحا مباشرا بتلك الأحداث و الوقائع التاريخية إلا أنه اعتمد على الرمز والإيحاء في استحضارها داخل المتن الروائي وهذا ما تجلى في قوله " : فتزامن حجه إلى (غات) مع حملة الاعتقالات التي قام بها الكابتن بورديللو لشباب الواحات ليجرهم إلى مرزق ويزج بهم في المعسكر الذي هيأه لتدريب أبناء الأهالي وتجهيز الحملة لغزو الحبشة "[2] وهنا الكوني يستحضر التاريخ الليبي من خلال تلك الاعتقالات الإجبارية التي قام بها المستعمر الغربي في تجنيد أبناء الأهالي وتجهيزهم لخوض الحروب ومساندتهم للفوز بها وتجلى أيضا في المتن الروائي في قوله" : اعتقله رجال الكابتن بورديللو في اليوم الأول لدخوله الواحة ،وجدوه يجلس تحت جدارفي(سوق الحدادة) يلتقط أنفاسه من الرحلة الطويلة ،فوضعوا القيد في يديه ، وساقوه إلى الحامية الإيطالية على المرتفع ،هناك وجد مجموعة من الشباب معتقلين داخل الحامية " [3] حيث جسد الكوني لتلك الإعتقالات الغير المبررة من قبل المستعمر الغربي لشباب ليبيا بمجرد وصولهم إلى منطقة الواحات ،حيث حاول الإيحاء لهذا الوضع أو الحادثة التاريخية من خلال بطل الرواية "أسوف " ذلك البدوي المسالم البريء .كما استحضر لأسماء أعجمية غربية ما أورده في النص الروائي حين قال" :جون باركر،كابتن بقاعدة (هويلس)،منتدب للعمل بمعسكر يخضع للقاعدة ،أقيم على جبل نفوسة في موقع استراتيجي "[4] وقوله أيضا" : ثم أهدى له(جون باركر)آلة شيطانية أخرى "[5] وقوله أيضا " : لم تدخل سيارات اللاندروفر ولا بنادق الخرطوش حرم الصحراء بعد، السيارات الوحشية جاءت مع دخول الشركات الباحثة عن النفط والثروات الجوفية

1علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية ص 120

2إبراهيم الكوني نزيف الحجر ص 82

3نفس المرجع ص83

4نفس المرجع ص115

5نفس المرجع ص99

،مضت سنوات قليلة ثم تم اختراع ذلك السلاح الشيطاني خصيصا لانتهاك الحمادة وإبادة القطعان الآمنة " [1] فهذه الأقوال السابقة ماهي إلا تلميح من طرف إبراهيم الكوني لما حل بالصحراء الليبية من اضطهاد بداية بحملات الاعتقال الأمريكية وكذا الحامية الإيطالية التي استوطنت الصحراء الليبية وصولا إلى تلك الشركات الأجنبية الباحثة عن الثروات الجوفية .كما أنه أشار بوضوح لجشع "قابيل " الشخصية الأجنبية الغربية الشريرة الناهبة للثروة الحيوانية دون مراعاة لقانون الطبيعة ولا أسس الصيد العقلاني حيث دعم من طرف جون باركر بأحدث الوسائل والمعدات من أجل صيد الحيوان المقدس ومن بين هذه الوسائل نجد " :حلق (الجندب الخرافي) في الفضاء الصافي وعبر سهول الحمادة الخالية الصامتة " [2] "-أطل قابيل من نافذة "الجندب " وأشار إلى جرح يكاد يلتئم في الأرض الرمادية المعتمة "[3] وقوله أيضا " :استمرت المروحة الشيطانية تدور كالطاحونة ،تسكع الجندب اللئيم عبر سفح السلسلة متفقدا التجويفات والصخور والمنحدرات العارية حتى بدا عن بعد ،مثل صقر في بحثه العنيد عن فريسته "[4] وباستحضار الكوني لمثل هذه الأسلحة الحربية الموجهة للأهالي الليبية ، والصياد الماهر يحتاج في صيده إلى السهام لاإلى الطائرات وإلى البندقيات والرصاص .وهنا الكوني استحضر التاريخ بصورة جديدة خيالية تعكس الماضي الأليم من خلال شخصية قابيل وكذا جون باركر وتلك الأسلحة الشيطانية.

1نفس المرجع ص96

[2]إبراهيم الكوني نزيف الحجر ص 123

[3]نفس المرجع ص124

[4]نفس المرجع ص125

خامسا التراث الأدبي :

تعد الرواية العربية المعاصرة محط تداخل النصوص التاريخية والدينية والأدبية هذه الأخيرة تزخر بموروث أدبي يتمثل في قريحة الأدباء والشعراء و ما تركوه من إبداعات لا تزال تخلد في انتاجات جديدة" .فالموروث الأدبي هو أكثر المصادر التراثية وأقربها إلى نفوس شعرائنا المعاصرين ، ومن الطبيعي أيضا أن تكون شخصية الشعراء من بين الشخصيات الأدبية هي الألصق بنفوس الشعراء ووجدانهم لأنها هي التي عاشت التجربة الشعرية ومارست التعبير عنها وكانت هي ضمير عصرها وصوته ، الأمر الذي أكسبها قدرة خاصة على التعبير عن تجربة الشاعر في كل عصر" [1] فالأديب في إبداعه الفني يستلهم من أدباء وشعراء آخرين فيضمنها داخل إنتاج جديد فتكون بذلك بناء متكامل يجمع بين تجربة قديمة وتجربة حديثة معاصرة" .فالقصيدة قد تتضمن تناصات أدبية متنوعة في أجزائها المختلفة بسبب حتمية اندماج المقروء الثقافي في ذاكرة الشاعر ثم تسري به إلى عالم القصيدة من خلال اللغة أو الصور أو الأسلوب أو الرؤية إلى غير ذلك وهذا ما أشار إليه رولان بارت بقوله :أن كل نص هو نسيج من الاقتباسات والمرجعيات والأصداء ،وهذه لغات ثقافية قديمة وحديثة " [2] فالإبداع الأدبي هو انعكاس لثقافة المبدع وما يملكه من تطلعات تعكس جدارته فيكون بذلك قد نقل كل هذا في تجربته الإبداعية التي كانت وعاء تصب فيه أفكار ورؤى وخبرات الأولين وهذا ما يزيد نصه رونقا وجمالا .لقد أحاط إبراهيم الكوني إحاطة شاملة بذلك التراث الأدبي الذي بدأ باستحضار لتلك اللغات واللهجات القديمة فروايته جمعت بين اللغة القديمة لسكان أهل الصحراء بليبيا والتطورات الحاصلة عليها حتى وصلت إلى اللغة المتداولة حاليا وهذا ما تجلى في قوله " : ولا يتحرك باتجاه القمم المهيبة إلا بعد أن يقرأ كل الآيات التي يحفظها من القرآن و يردد تمائم السحرة الزنوج بلغة الهوسا " [3]و الهوسا لغة القبائل التي تقطن شمال نيجيريا .كما استحضر لهجة جديدة ذكرها في قوله " : فوق اللوح المدفون إلى نصف في التراب كتب ب "التيفيناغ " الغامضة التي تشبه رموز تعاويذ السحرة في كانو " [4] والتيفيناغ هي أبجدية الطوارق أهل الصحراء الليبية

.

1علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د ط ،دار الفكر العربي، القاهرة ،1417هـ 1997 م ص138

2أحمد الزعبي : التناص نظريا وتطبيقيا ط2،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع – عمان – الاردن .1420هـ 2000م ،ص 153

3إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ، ص31

4المصدر نفسه : ص 147

ولم يتوقف الكوني عند هذا الحد بل وظف جمل وعبارات باللغة الأجنبية ألا وهي اللغة الإنجليزية وهذا ماتجلى في المتن الروائي:

-o, my cod! What's he waiting for? [1]-

Look! Look. [2]

-fire, [3]

وهذا ما يثبت تلك العلاقة التاريخية بين الشعب الصحراوي الليبي والدول الأجنبية ذات اللغة الإنجليزية ، ومدى ثقافة إبراهيم الكوني في معرفة هذه اللغات واللهجات ،كون أن ليبيا تعرضت للاحتلال والغزو الغربي.

1المصدر نفسه : ص 126

2المصدر نفسه : ص 129

3المصدر نفسه : ص 129

سادسا/ التراث الشعبي:

يعد التراث الشعبي من القيم الإنسانية المتوارثة عبر الأجيال ويشمل كل ماهو مادي ومعنوي يجسد معالم ذلك المجتمع و الحضارة ومن هذا نجد التراث الشعبي يعتبر روح المجتمعات لما يجسده من مظاهر الحياة والفضائل الأخلاقية وبث الروح في كل ماهو قديم .فالتراث الشعبي يعبر عن روح العامة من الناس فهو مستمد من الشعب ويستقي مادته منه ويشمل العادات والتقاليد ،الحكايات ،الأمثال ،الحكم الشعبية ،والأغاني الشعبية وكذا الإبداع ،كما أن التراث الشعبي جزء لا يتجزأ من علم الفولكلور ،الذي هو علم ثقافي يختص بقطاع معين من الثقافة (هو الثقافة التقليدية أو الشعبية) يحاول إلقاء الضوء عليها من زوايا تاريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية "[1] فعلم الفولكلور يضم التراث الشعبي فهو شامل لمختلف مظاهر الحياة فيدرس مجتمع ما من جميع النواحي وبذلك يعطي لذلك الموروث الشعبي دلالته ، فالموروث الفولكلوري مستمد من ثلاث مصادر رئيسية هي بحسب أهميتها ومدر إقبال الشاعر المعاصر عليها- : ألف ليلة وليلة .السيرة الشعبية كسيرة بني هلال ،عنترة وسيف بن ذي يزن .... كتاب كليلة ودمنة الذي ترجمه عبد الله بن المقفع عن الفارسية ،ومن يومها أصبح من معالم تراثنا الفولكلوري "[2] فالفلكلور مستمد من مصادر كانت بمثابة إلهام للكتاب وكذا الأجداد وصولا للأحفاد فكل الأدباء أخذوا من هذه المصادر وضمنوها في إبداعاتهم ،ومن بين الروائيين العرب الذين حاولوا إعادة احياء التراث وبعثه من جديد من خلال استحضاره في أعمالهم الإبداعية نجد : "إبراهيم الكوني في روايته نزيف الحجر " الذي ألم بكل مظاهر التراث الليبي وما عايشوه لينقله بذلك إلى المتلقي في صورة تتجسد وكأنك تعيش تلك المرحلة ،ومن بين مظاهر التراث الشعبي في روايته نجد:

/1الحكاية الشعبية:

استلهم "إبراهيم الكوني " للحكاية الشعبية الذي يكثر تداولها بين أهالي الصحراء والبادية حين يجتمعون في جلسات السمر و الشاي متبادلين الأدوار و الأحاديث معبرين عن واقعهم الصعب والظروف القاسية التي تحيط بهم من كل جانب ،من أجل بعث الأمل والتسلية والترفيه عن نفسهم الشقية في غياب الحياة الكريمة وانعدام لوسائل الاتصال الحديثة .حيث وظف تلك الحكايات عن ألسنة الحيوانات أي ما يعرف "animal talc"[3] : كحكاية "الودان "التي تحكي عن قداسته وقدرته الخارقة ،بالإضافة إلى ذكر "حكاية الغزالة "وهي عبارة عن قصة ضمنها "الكوني "داخل روايته تحت عنوان "العهد" وقد تجلت كالتالي" : رأت الغزالة الحكيمة الوحشية في عيني صغيرتها ،فحدثتها عن سبب الذي جعلها تجرؤ على البقاء وتتخلف عن طوابير المهاجرين ،وقبل أن تدخل في

1محمد الجوهري : مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري ،ط1، دون دار النشر وبلد النشر ،2006، ص 11

2علي عشري زايد :استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ،دط، دار الفكر العربي ،القاهرة ،1997م- 1417هـ ،ص 152

3نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، ص3

تفاصيل الحصن الحصين ، رأت أن تلقنها الأمثولة ، وتقص عليها حكاية عن الوطن ، قالت لها في إحدى الأمسيات إن الخالق لما خلق الروح عين لها حدودا وحبسه في ثلاثة سجون : الزمان والمكان والجسد ، وقد حقت اللعنة وهلك كل من حاول أن يخرج من هذه الحدود لأن الخالق قدسها وجعلها قدرا في رقبة المخلوق ، ومخالفتها تمرد على إرادته وحدث أن اغتر الغزال بقرنيه الكبيرتين ، وخرج عن القطيع في السهل....الخ "[1] ليكمل سرد أحداث هذه الحكاية على مدار ثلاث صفحات على التوالي حتى تصل إلى النهاية في قوله : " أنهت الغزالة الحكيمة قصتها وقفت على قوائمها ، ورفعت رأسها نحو قمة الجبل كأنها تقرأ تعويذة موجهة إلى السماء "[2] نلاحظ أن إبراهيم الكوني في توظيفه لهذا النوع من الحكاية قد أجاد وأصاب في كونه تحدث على لسان الغزالة عن جشع وطمع الإنسان اللامحدود في انتهاك حرمة الحيوانات والطبيعة في غياب الضمير والإنسانية وهذا ما تجسد في شخص "قابيل "الذي يعد مصدر الشر والطغيان في نهب الحرية والأمان والاستقرار.

2/المثل الشعبي

إن الأمثال الشعبية نتاج شعبي خالص فهو خلاصة تجارب الإنسان في الحياة وثمرة خبرته الحلوة والمرة وهذا المثل ينتج بعد مرور الفرد بمراحل صعبة تولد لديه رؤية شاملة عن الحياة يضمنها في مثل تنعكس فيه ذلك التفكير الناجح والسليم للفرد و رؤيته البعيدة للأمور" .فالمثل تجسيد لقيم وتقاليد ومعتقدات وسلوك الشعب الحقيقية لأنها انعكاس للبيئة التي نشأ فيها " [3] أي أن المثل مرآة عاكسة لحياة الإنسان بما فيها من خير وشر وكل ما يمر به من أوقات صعبة في حياته " .وللمثل مورد ومضرب ، يقصد بالأول الموقف الذي صدر عنه أول مرة قيل فيها والثاني السياق الذي أعيد إنتاجه من خلاله " [4] ينتج المثل نظرا لحادثة ما ويلقى فيها لأول مرة ، وهذا ما يعرف بالمورد لتأتي بذلك حادثة مشابهة لها فيعاد تداوله مرة ثانية وهذا ما يعرف بالمضرب .ويتميز المثل بخصائص منها : الإيجاز ، الرمز ، البلاغة ، سعة الإنتشار ،سهل الحفظ وقد أحاط المبدعين و أهل الإختصاص بهذا الإبداع الشعبي "المثل الشعبي نظرا لدقته في الإيحاء و الرمز عما يدور في ذهن المبدع ،مما جعل له حضورا واسعا داخل الإبداعات الأدبية منها الشعر و النثر وهذا ما نلمحه عند الكاتب و الروائي البيي "إبراهيم الكوني " من خلال روايته نزيف الحجر ،حيث استحضر المثل الشعبي ليعبر عما يجول في خواطره وما ينتاب مشاعره وما يلخص أحداث روايته وهذا ما تجلى في قوله:

1إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص109.

2المصدر نفسه : ص 110 إلى 113.

3محمد صفوت : الأمثال الشعبية ،دار مصر للطباعة ،مصر ، ص5

4عبد الحميد بورايو : الأدب الشعبي الجزائري ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ،2007، ص 59.

قال : " صيد الودان صعب ،يعتصم بظلمات الجبال في الصحاري الجنوبية الرحلة إلى هناك تحتاج إلى استعداد ،لا بد من قوافل السيارات والخبراء ، وأنت تبخل بطائرة هليكوبتر لتمشيط جبل الحساونة – اللي يبي الورد يتحمل شوكه يا جون ، وشوك الودان أقوى من شوك الغزلان![1] وقوله أيضا" :اللي يبي الورد يتحمل شوكه ،هل تعرف هذا المثل ؟ –ها..ها..الليبي الورد يتحمل شوكه صحيح ، ولكني لا أعرف أينا يحب الورد أكثر ،أنا أم ذلك المخلوق الذي يأكل الدود أسنانه ولا يستطيع أن يصبر عن اللحم يوما واحدا ؟ "[2] وفي هذا المثل يخبرنا الكوني في روايته عن صعوبة صيد هذا الحيوان المقدس "الودان " نظرا لشراسته وقوته وسرعته الجنونية في الفرار من كيد الصيادين ذلك أن الصياد يتعرض للعديد من الأخطار وعليه أن يصبر ويتحمل حتى ينال مراده بالفوز بهذا الحيوان المقدس .وقوله أيضا : الشيخ جلولي الذي يعتبره شيوخ بلدتكم درويشا يقول إن الماء يطهر الجسد ،والصحراء تطهر الروح ،لم أر فيكم أخلص منه الصحراء برغم أنه لايتمتع بخيراتها مثلكم ولا يأكل غزلانها أنت يا قابيل " تأكل الغلة وتسب الملة " ، والصحراء لم تطهرك لأنك لم تعشقها.[3] " يقال هذا المثل لمن ينكر المعروف ويجحد بالخيرات والنعم وهذا ما تجلى في شخصية قابيل الجشع والطامع في صيد الغزلان والودان مع عدم احترامه لقانون الطبيعة وكذلك نعوته الدائمة في سب الصحراء وكرهه لها.

وهذا ما تجلى في المتن الروائي حين رد عليه قائلا " :والله لا أعرف أينا لا يريد أن يحتمل الشوك ، أنت لا تريد أن تحتمل أشواك الصحراء ،تريد أن تقطف الثمار ولا تريد أن تتعذب بالشمس والغبار ،تريد أن تصطاد الغزلان بقفازات من حرير.ها..ها..ها...أنت لا تحب الصحراء." [4]وفي هذا القول شرح للمثل السابق ذلك أن قابيل يريد أن ينال مبتغاه دون عناء ولا تعب ، فهو يلعن الصحراء وشمسها وغبارها رغما أنها هي البيئة الملائمة لعيش مثل هذا الحيوان الذي يسعى قابيل جاهدا للإمساك به والتلذذ بأكل لحمه .وقد استدل "إبراهيم الكوني " بهذا النوع من الأمثال ما هو إلا تجسيد لفكرة وحيدة مفادها هي : أولا جشع ذلك الرجل الغربي "قابيل "في استنزاف ثروات الصحراء "ثروة الحيوانية" دون شفقة ولا رحمة وكذا تسلطه و طغيانه الدائم فاق كل الحدود والتوقعات وذلك لغياب الإنسانية كونه اصطاد جميع الغزلان في الحمادة الحمراء وها هو الآن يستعين بأحدث الوسائل والمعدات في تمشيط الصحراء بحثا على الودان المقدس دون مراعاة لقانون الطبيعة وكذا قداسة هذا الحيوان لدى سكان الصحراء في ليبيا ، ثانيا همجية" قابيل" وسياسته التخويفية التي فرضها على " أسوف" من جهة من خلال نعته بأبشع الصفات وبأدنى الألفاظ الجارحة التي توحي بفكرة التسلط والتملك لهذه الأرض "الصحراء " وما تحتويه من سكان وكذا حيوانتها دون الثناء والشكر لهذه النعم والخيرات.

1إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص 120

2 المصدر نفسه ص119

3إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ،ص 120

4 نفس المرجع ص120

3 /المعتقدات الشعبية:

هي عادات و تقاليد متوارثة من جيل إلى جيل يؤمن بها أهلها يرثونها أبناءهم وهذا ما يخلق الاختلاف بين الشعوب والقبائل وحتى الدول ،حيث أن هذه العادات والتقاليد تلفت النظر وتجلب الاهتمام من قبل أهل الاختصاص وكذا المبدعين و الكتاب وهذا ما حاول إبراهيم الكوني تصويره و إذاعته في روايته نزيف الحجر ،ليثبت مدى تشبث الأهالي بتلك العادات والتمسك بها رغم المعانات و الحرمان في تلك البيئة الصحراوية القاحلة حين يقول :"ولا ينحر الأهالي في الواحة الذبائح إلا في عيد الأضحى ونادرا ما يتعاونون في تجميع القروش لشراء معزاة أو خروف ، ليقسم اللحم في حصص صغيرة ، ويوزع على العائلات المساهمين ، وفي السنوات التي يرق فيها قلب السماء وتنزل الأمطار السخية يغامرون بالمساهمة في نحر جمل يناله الفقراء العاجزون عن دفع نصيبهم ،لأن التصدق من الذبيحة في مثل هذه المواسم أمر يفرضه التقرب إلى السماء التي لم تبخل عليهم بالأمطار "[1] وهنا الكوني يبين تلك العادة المتوارثة لدى الصحراويون في أشهر الحر والجفاف وذلك بتقديم أضاحي من الحيوانات متقربين بها إلى الله طلبا للمطر وهذا ما يسمى عندنا بالوزيعة ، حيث يتم تقسيم اللحم وتوزيعه على الفقراء والمساكين وهذه من العادات الحميدة التي توحي بالأخوة والتضامن.

أ/ الطقوس الشعبية : استحضر إبراهيم الكوني في روايته "نزيف الحجر " لتلك الطقوس والعادات التي كانت شائعة بين أهل الصحراء الليبية وخاصة ما ارتبط بفكرة صيد الودان هذا الأخير الذي يعتبر مقدس ومن أجل صيد هذا الحيوان على الصياد اتباع عادات شائعة بين الصيادين نذكر منها : ترتيل تعاويذ سحرية ، الصوم عن الكلام ، قراءة آيات قرآنية .....ويتجلى ذلك في المتن الروائي في قوله:"....ويتشائم أهالي تاسيلي من صيد الوفلون (الودان) ،فيتمتم الصياد بالتعاويذ السحرية ويضع حجرا على رأسه ،ويتقافز على أربع قبل أن ينطلق في رحلة الصيد" [2] قوله أيضا : أصبح يتهيب صيد الودان منذ تلك الحادثة ، ولا يتحرك باتجاه القمم المهيبة إلا بعد أن يقرأ كل الآيات التي يحفظها من القرآن و يردد تمائم السحرة الزنوج بلغة الهوسا ويعلق على رقبته التعاويذ المحصنة في جلود الثعابين التي جلبها له تجار القوافل من العرافين قي (كانو) يجلس يوما قبل السفر يتمتم بتعاويذ ويصوم عن الكلام ولا يرد على مساءلاتهما و ينام خارج الخيمة حتى لا يضطر إلى تبادل الكلام مع أحدهما لينطلق في الفجر على جمله فارغ اليدين". [3] وفي موضع آخر يقول" : وبرغم أن الصحراء في تلك السنوات كانت تعج بالغزلان إلا أن الوالد سن لنفسه تقليدا ألا يصطاد أكثر من شاة واحدة في الرحلة وكان يؤكد أن روح الغزال تقوى وتشتد إذا زادت عن واحدة ،تتغلب على حصن القرآن وأحجبة السحرة ، ولن تفيد تمائم العرافين ولا

1إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ، ص31.

2إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 31

3نفس المرجع ص 46

تعاويذ الفقهاء ،وقد حذره أحد العرافين المشهورين في (كانو) من تجاوز الحد في صيد الغزلان " [1] هذه الطقوس التي سبق ذكرها هي عادة متوارثة لدى أهل البادية الليبية تثبت مدى أصالتهم وتعلقهم بالتراث الشعبي الليبي.

ب / السحر والشعوذة : هي طلاسم وتعاويذ آمنت بها الأمم البدائية في كونها لها القدرة على حماية الفرد من الأذى و المهالك .يكثر الإيمان و العمل بها عند إهل الصحراء وهذا ما استحضره الكوني في روايته "نزيف الحجر" الذي وظف الصحراء الليبية بكل ما تحمله من عادات وتقاليد ومعتقدات وتجلى ذلك في قوله في فصل التمائم : " فوجئ بالتمائم ليس مسعود وحده الذي آتى يحيط عنقه بالحجاب و إنما جون أيضا تربع بجوار الموقد وأخرج الحصن الجلدي المرسوم بإشارات السحرة الزنوج ولوح به أمام وجهه متباهيا ،تناوله قابيل ،وقلبه بين يديه ثم قال : –هذا وشم شيطاني (كانو) هذه خطوطهم هذه رموزهم من أين لنصراني أمريكي يعيش معلقا في جبل نفوسة بحصن الجن هذا " [2] وقوله أيضا : الفضل يرجع لي قدته إلى الشيطان الزنجي الذي جاء مع القافلة صنع لي حصنا مماثلا ،فك أزرار قميص الكاكي فبرزت قطعة الجلد موشومة أيضا بالرموز السحرية ،صاح قابيل : استغفلتموني لم يقل لي أحد أن الأحجبة ضرورية لوليمة الودان ،قال مسعود : ومن لا يعرف هذا ؟ حتى الأطفال في الجبل يعرفون هذا الودان مسكون بروح الجبال ومن ذاقه مرة لابد أن يتسلح بالحجاب الأرواح ليست لعبة كل شيء جائز إلا اللعب مع الأرواح " [3]

هنا نجد الكوني يصف الإيمان الجازم الغير مشكوك فيه بقدرة الأحجبة في إبعاد الأذية والخطر لكل من يتحصن بها وهي عبارة عن رموز وإشارات غامضة مكتوبة في جلود الحيوانات من قبل المشعوذين والكهان .وهنا يصف حالة قابيل وتوتره الزائد لعدم امتلاكه لمثل هذه الأحجبة إلى جانب رغبته الزائدة في تناول هذا اللحم المقدس– . الحديث الذي دار بين جون والساحر في المتن الروائي حين قال مسعود " : آه لو رأيت الزنجي الفظيع وهو يسجوب جون لمت من الضحك تفحصه طويلا بعينيه الحمراوين ثم سأله :ما اسم أمك ؟ قال جون ألا يكفي اسم أبي ؟ قال الساحر : هذا شأني بدون معرفة اسم الأمك لن يستقيم شيء ....ونحن معشرعلماء الغيب لا نضمن أبوة أحد لأحد لأننا نرى الأشياء كما هي بدون أوهام فهل تريد أن تبوح باسم أمك أم تريد أن تخاطر بأكل اللحم المسكون بدون حجاب ؟ هنا استسلم جون واعترف باسم أمه."[4] وفي قوله أيضا " : كرر قابيل التعويذة القديمة غائبا ، الزيت غريان ،التمر فزان اللحم ودان.الله!الله! اللحم ودان! اللحم ودان! ولم يقولوا غزلان! " [5] صرح الكاتب في المتن الروائي بتلك الأسئلة الشائعة بين السحرة والمشعوذين والأشخاص المترددين إليهم

1نفس المرجع ص 46

2نفس المرجع ص 132

3إبراهيم الكوني : نزيف الحجر ، ص132.

4 نفس المرجع 134

5نفس المرجع 134

بهدف تظليل العقول وإقحام النفس في الأوهام وذلك بترديد تعاويذ سحرية تحميهم من اللعنة التي تحل بهم جراء أكل لحم الودان المقدس وهذا ما حدث مع قابيل عندما استحضر التعويذة قبل الشروع في الأكل.

ج/ الأولياء الصالحين :أولياء الله هم أهل التقوى والإيمان وأهل الصلاح والإستقامة على دين الله وعلى ما جاء به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وقد ورد ذكرهم قي القرآن الكريم : "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " [1] وقوله تعالى أيضا" : الذين آمنوا وكانوا يتقون " [2] وقال في سورة الأنفال" : وما كانوا أولياءه إن أولياءه إلا المتقون "[3] هم أهل الطاعة والإيمان وترك الشرك والمعاصي يجب حبهم في الله ولا يجوز دعائهم ولا الإستغاثة بهم .لقد شاعت فكرة تقديس الأولياء الصالحين في نفوس أهل القبائل مكانة بارزة فهم يؤمنون بهم إيمانا جازما ،فتجلى ذلك في المتن الروائي "نزيف الحجر " في قول الكاتب " : وفي الليل، ذهبوا إلى الزاوية ،ونظموا حفلة ذكر ، جدبوا فيها حتى الفجر ، إكراما للولي ،وفرحا بحلول الذات الإلهية في المخلوق الأرضي البائس " [4] وقوله أيضا" :هناك فتح له الله بابا لا يفتحه إلاولأولياءه "[5] وهنا يتضح إعتقاد القبائل الصحراوية الليبية بفكرة التضرع واللجوء إلى أضرحت الأولياء الصالحين ودعائهم بحل مشاكلهم وطلب الرزق منهم وهذا ما يدل على تخلف الوعي الإسلامي في الصحراء ومدى إيمانهم بها رغم تحريمها "فإبراهيم الكوني " لم يتحدث عن البيئة الصحراوية ووصف إمكنتها بل تطرق لتلك العادات والتقاليد الشائعة بين قبائلها.

/4الصناعات التقليدية

: إستلهم الكوني في روايته نزيف الحجر لتلك الصناعة التقليدية الرائجة في الصحراء ألا وهي "صناعة الأحذية " وهذا ما تجلى في المتن الروائي حين قال : "عندما استطاع أن يصيب غزالة في عتمة الفجر كافأه بهدية :نعل "التمبا " الملون ، المرسوم بزخرفات رسمتها أنامل صبايا "تامنغست " الرقيقة وشحنتها بالعشق واللهفة للقاء فرسان الأحلام ،عواطفهن تفيض من الخطوط و الزخرفات والرسوم ،الفتاة التي صنعت النعل عاشقة ،أمه خبيرة بنقوش الصبايا على الجلد أكدت ذلك ،قالت : "خفقات قلب الفتاة في كفها،وعشقها بين أناملها ،كل العجائز تقرأ هذه الأبجدية سواء كتبت على جلود أوعلى قماش أو نسجت في خيوط الصوف ،هذه لغة تفهم حروفها الخفية إلا العجائز الحكيمات " [6] صرح الكاتب بتلك الحرف والصناعات اليدوية التقليدية بما فيها صناعة الأحذية أو صناعة النسيج التي تحترف البنات صناعتها ليثبت أكثر للهوية الليبية من خلال وصف لباس أسوف ليبين ويأصل

1القرآن الكريم : سورة يونس ،الآية 62-63

2القرآن الكريم : سورة يونس ،الآية 62-63

3القرآن الكريم : سورة الأنفال ،الآية 34

4المرجع نفسه ،ص84

5المرجع نفسه ،ص84

6إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 46 ،ص 131

للباس الصحراوي التقليدي .وذلك ما تجلى في المتن الروائي من ذكر لجلبابه وعمامته ولحاف أمه وذلك في قوله : "-مسح العرق بكم جلبابه "[1] "-فأخفى ارتباكه بتعديل العمامة على رأسه "[2] وقوله أيضا"- : سارع يعدل من وصغ لثامه على وجهه "[3]

وقوله في موضع آخر : "شدت لحافها المبقع بالدهون " [4] وهنا الكوني يرسم لنا الزي الرسمي والتقليدي الذي يطبع الفرد الصحراوي الليبي وهوما تكون من جلبابه وعمامة ولثام ، وذكر أيضا لحاف المرأة الصحراوية.

5/المأكولات الشعبية:

هي تلك الوجبات والأطباق الذي اعتمدت عليها القبائل والشعوب في إعدادها بكثرة حيث أنها أصبحت تقاليد خاصة بهم ،التي تقوم أفراحهم وأحزانهم بوجودها .وهذا ما وضحه إبراهيم الكوني في روايته نزيف الحجر في قوله" : فشوهدت كثيرا وهي تبعث إليه بقصعة كسكسي مع الصبية أو تنحني لغسل ثيابه بجوار البئر" [5] والكسكس من الأطباق التقليدية الرائجة في البلدان العربية وخاصة الجزائر وليبيا و علينا المحافظة على هته الأطباق من الزوال والإندثار في ظل ظهور أطباق عصرية لا علاقة لها بالأطباق التقليدية .ضف إلى ذلك استحضر الكاتب لتلك الأدوات البدائية في تجهيز الطعام التقليدي .مثل قوله : " ثبت المسعود القدر على مثلث الأحجار ،ودس الحطب تحته " [6] وأيضا قوله : " رمقته باستغراب ، ابتسمت ثم تمايلت يمينا ويسارا وهي تخض قربة الحليب بين يديها "[7] كما أنه ذكر ذلك الزاد الذي يحمله الصحراوي والذي يعد مصدر قوته وذلك بذكر المواد الغذائية الضرورية والمعتمدة من قمح وشعير وتمر وحليب وماء ،فهذه المواد هي غذاءه الكامل المتكامل للفرد الصحراوي ،وهذا ما تجسد في قوله " : الأجدر أن تحلب الناقة وتأتيني بالحليب قبل العشاء" [8] "-ويطيب له في الليل أن يحضر الشاي الأخضر ،ويحدثه عن أخلاق الحيوانات والطيور في الصحراء " [9] "-أبوك لا يغيب بلاسبب ،لقد مضى أكثر من أسبوع على رحيله تزود بالماء و التمر ، و اقتفي إثره "[10] ومنه : فإن الغذاء الأصلي والأساسي لأهل الصحراء يرتكز على الماء والتمر والقمح والشعير و الحليب.

1المرجع نفسه : ص 38 ، ص48

2المرجع نفسه : ص 38 ، ص48

3المرجع نفسه : ص 38 ، ص48

4إبراهيم الكوني :نزيف الحجر ،ص 46 ،ص 131

5المرجع نفسه ،ص132

6المرجع نفسه ،ص10، ص134

7المرجع نفسه ، ص9

8المرجع نفسه ،ص10

9المرجع نفسه : ص24

10المرجع نفسه : ص31

خاتمة

الخاتمة:

اتجه بعض الروائيين في العقود الأخيرة إلى توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، وعلى رأسهم "إبراهيم الكوني " ،وذلك بهدف تأصيل الرواية وقطع صلتها بالرواية الغربية من جهة والعودة لقراءة التراث من جهة أخرى ،من خلال بث الروح لتستمر أنفاس ذلك الخزان الثري ينبض ،فيعبر من خلالها عن الواقع المعاش حيث يمثل لتلك الهوية العربية الأصلية ،وقد توصلنا لعدة نتائج أهمها- : أن التراث جزء لا يتجزأ من الهوية الإنسانية ، نتعرف من خلاله على عادات و معتقدات الشعوب – .إن التراث موجود في حياة كل أمة ،فهو يؤكد وجودها الفعلي ،وأمة بلا تراث هي أمة بلا حاضر ولا مستقبل يعود توظيف التراث في الرواية إلى بواعث – : واقعية : ارتبطت بالنكبة التي تعرض لها العرب وكان لها وقعها الخاص – .فنية : وذلك من خلال البحث عن شكل فني مغاير وبهذا ارتأو بالعودة لتراث والنهل منه – .الحركة الثقافية : في محاولة الأدباء و النقاد البحث في التراث وما يحتوي عليه من علوم وآداب شتى .وبهذا برز التراث لمختلف أنواعه في الروايات العربية – :التراث الديني : حيث وظف الروائيين العرب قصص الأنبياء وكذلك الاقتباس من آيات الذكر الحكيم- .التراث التاريخي : يستحضر فيه الكاتب شخصيات تاريخية أو أحداث ووقائع تاريخية كان لها وقعها الخاص .الموروث الشعبي : الذي يربط الصلة بين الماضي والحاضر فهو نمطا فنيا مستوحى من الشعب بمختلف طبقاته – .توظيف التراث الأدبي : يؤدي للحديث عن مصطلح نقدي ألا وهو التناص حيث أنه يأخذ من النصوص الأدبية التراثية – .إن استدعاء "إبراهيم الكوني في روايته نزيف الحجر " يوحي بتشبعه بالتراث وتطلعه المعرفي و الفكري العميق – .لقد وظف "إبراهيم الكوني " في روايته نزيف الحجر شتى أنواع التراث فقد استحضر –التراث الأسطوري وذلك ما جسده في روايته في أسطره الشخصية "أسوف وقابيل " وكذا أسطرة الطبيعة – .كما استحضر التراث الديني من خلال قصة "قابيل وهابيل " بالإضافة إلى ذكر بعض أسماء سور القرآن وكذا مفردات قرآنية ضف إلى ذلك حضور الحديث النبوي الشريف – . كما استلهم التراث الصوفي في توظيف مصطلحات صوفية وذكر لبعض الفرق الصوفية وكذا النظريات الصوفية . –نهل أيضا من التراث التاريخي من خلال تلك الوقائع والأحداث التاريخية المرتبطة بالماضي الليبي ،ظف إلى ذلك حضور أسماء لشخصيات غربية مثال : جون باركر – .التراث الأدبي استحضر فيه الكوني لتلك اللهجات القديمة منها "الهوسا ،التيفيناغ "وصولا إلى حضور اللغة الإنجليزية .كما استحضر التراث الشعبي الليبي بداية بالحكاية الشعبية والمثل الشعبي وصولا إلى المعتقدات الشعبية وما تحتويه من طقوس خاصة بهم) السحر و الشعوذة ، الإيمان بأولياء الصالحين) ظف إلى ذلك استحضره لتلك الصناعات التقليدية وكذا المأكولات الشعبية . لقد أحاط إبراهيم الكوني إحاطة شاملة بمختلف أنواع التراث الليبي ونقله بكل أمانة وإبداع بإيجابياته وسلبياته ، مما يثبت حقيقة تشبعه واهتمامه بكل ما يخص بيئته وبلده.

الملاحق

ملحق السيرة الذاتية لإبراهيم الكوني

أولا مولده :

ولد في 7 أغسطس 1948 بالحمادة في الصحراء الكبرى ،روائي ليبي ينتمي إلى قبيلة الطوارق التي تسكن الشمال الإفريقي من ليبيا إلى موريتانيا كما تتواجد في النيجر .أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في الجنوب الليبي فزان ، وتابع دراسته الأدبية في بلاده حصل على الليسانس ثم الماجستير في العلوم الأدبية والنقدية بمعهد غوركي للأدب العالمي بموسكو عام 1977 ،يجيد الكوني تسع لغات وكتب ستين كتابا حتى الآن ، ويقوم عمله الروائي على عالم الصحراء ،بما فيه من ندرة وقسوة وانفتاح على جوهر الكون ، وتدور معظم رواياته حول العلاقة الجوهرية التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها وعالمها المحكوم بالحتمية و القدر الذي لا يرد ومن خلال إبداعه وعبقريته اختارته مجلة لير الفرنسية كأحد أبرز خمسين روائيا من العالم اعتبرتهم يمثلون اليوم أدب القرن واحد والعشرين ،وسمتهم خمسون كتابا للغد، ووضع السويسريون إسمه في كتاب يخلد أبرز الشخصيات التي تقيم على أراضيهم وهو الأمازيغي الوحيد لا بل وحيد أيضا من العالم الثالث في هذا الكتاب ،كما ان رئيس سويسرا إذا اصطحابه معه في واحدة من أبرز المحطات السويسرية سنة 1998 ،عندما كانت سويسرا ضيف شرف في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب اليوبيل الخمسين العيد الذهبي ،كما ترجمت كتبه إلى لغات العالم الحية أي حوالي 40 لغة

ثانيا : وظائف ومناصب تقلدها :

عمل ابراهيم الكوني في وظائف صحفية ودبلوماسية عديدة حيث كان مستشارا دبلوماسيا في السفارات الليبية في روسيا وبولندا وسويسرا ،وكان مراسلا لوكالة الأنباء الليبية في موسكو 1975 ،ومندوبا لجمعية بوراسو 1978 ،وتولى رئاسة تحرير مجلة الصداقة الليبية البولندية 1981 وتولى منصب في وزارة الشؤون الاجتماعية ثم وزارة الإعلام والثقافة ومستشار بالسفارة الليبية بموسكو 1987، ومستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي الليبي بسويسرا 1992 ،وقدم كذلك للإذاعة العديد من البرامج المسموعة من بينها خدعوك فقالو 1969 ،وبرنامج بعنوان الثقافة الجماهير

ثالثا: أسلوبه الأدبي

عندما كان ابراهيم الكوني يدرس في معهد غوركي للآداب في بداية السبعينات كانت النظرية السائدة هي أن الرواية عمل مدني وهي نظرية جورج لوكاتش وحسب النظرية لا يمكن أن تكون الرواية خارج المدينة ، وقد تمكن ابراهيم الكوني من قلب هذه النظرية لينتج روايات متعددة الأجزاء عن الصحراء ،ويقوم عمله الروائي على عالم الصحراء بما فيه

رابعا : جوائز نالها :

حاز ابراهيم الكوني على خمسة عشر جائزة دولية لم يفز بها كاتب عربي على الإطلاق منها : جائزة الدولة السويسرية على رواية نزيف الحجر 1995 جائزة الدولة الليبية على مجمل الأعمال 1996 جائزة اللجنة اليابانية للترجمة على رواية التبر 1997 جائزة الدولة السويسرية على رواية المجوس 2001 جائزة الرواية العربية (المغرب) 2005

خامسا : ماقاله النقاد :

يقول صلاح فضل : تقوم أعمال الكوني بترجمة العوالم الميثولوجية .والفضاء الكوني بكل أبعاده المتجذرة في الطبيعة و الحيوان والانسان ،حيث تقوم النباتات والظلال والحيوانات بدور الكائنات الإجتماعية ،وهذه أبرز مفارقات الكوني الخطيرة فهو يصنع حفرياته المدهشة في جيولوجيا المجتمع الباردة البعيدة انه يعيد بناء ذاكرة الصحراء عندما يسترد مرة واحدة مخبوء الشعر والسرد المكتومين فيه ويفجرها بشكل ابداعي مذهل يرد لليبيا اعتبارها المفقود على خارطة الادب العربي يقول جابر عصفور :ان الكون عبقرية إبداعية على الرغم انه مضلوم عربيا ولم ينل حقه من التكريم فهو قد حصل على جوائز عالمية تليق بعبقريته لكن امته لم تكرمه بما يستحق ويرى عصفور ان الكوني هو العربي الوحيد الذي استطاع خلق اسطورة متكاملة شاملة بعمقها وشخصيتها ومعانيها وظواهرها وأبعادها المادية والروحية وهذه الأسطورة هيا اسطورة الصحراء

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا- المصادر :

1-إبراهيم الكوني: نزيف الحجر ،ط3، دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،1996 .

2-جورجي زيدان :غادة كربلاء :روايات التاريخ الإسلامي (1891-1914) ،ط2 ،دار الجيل ،بيروت لبنان -3 .جورجي زيدان :رواية صلاح الدين الأيوبي ،روايات التاريخ الإسلامي(1891-1914) ،ط2 ،دار الجيل ،بيروت لبنان .

4-واسيني الأعرج : رواية أنثى السراب ،ط2 ،الجزائر ،2015.

ثانيا / المرجع :

1-أحمد الزعبي: التناص نظريا وتطبيقيا ،ط2 ،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،(1420هـ2000 م

2- .(آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة ، ط1 ،الدار العربية للعلوم ،الجزائر العاصمة ،1431هـ2010 م .

3-آمنة بلعلى : الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي (من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجريين) ،دط ،من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق2001

4-بهاء الدين محمد مزيد : النزعة الإنسانية في الرواية العربية وبنات جنسها ،ط1 ،العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،الإسكندرية ،2007 - 2008 .

5-جد عمر بن شعيب الألباني : صحيح أبي داود ،دط ،دس.

6-حسن حنفي : التراث و التجديد، دار التنوير ،ط1 ،1981م.

7-رجاء أبو علي : الأسطورة في شعر أدونيس ،ط1 ، دمشق ،حلبوني ،2009

8-علي عشري زايد : الأسطورة في شعر أدونيس ،ط1 ،دمشق ،حلبوني ،2009 .

9-عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،2007.

10- عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ،بحث في تقنيات السرد ، دط ،دار المعرفة ،الكويت ،شعبان ،1998

11-عبد الحميد عقار : الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب ،ط1،دار البيضاء ،1421هـ - 2001م .

12-عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،ط3 ،دار الفكر العربي.

13- عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن كثير القرشي - تحقيق أبو عبد الله محمود بن الجميل : قصص الأنبياء ،ط2، دار الإمام مالك للكتاب ،الجزائر ،1432هـ2011-م

14-فهمي جدعان : نظرية التراث ،ط1 ،دار الشروق للنشر والتوزيع ،1985 .

15-محمد عابد الجابري : التراث والحداثة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،المغرب ،مجلد 1، ط3 ،2011 .

16-محمد رياض وتار: توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،دط، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،2002

17-مجدي كامل : أشهر الأساطير في التاريخ ،دط ،دار الكتاب العربي ، دمشق ،دون سنة

18- .محمد الجوهري : مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري ،ط1، دون دار النشر ، 2006 .

19-محمد صفوت : الأمثال الشعبية ،دط ،دار مصر للطباعة ،مصر .

20-الإمام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف النووي : صحيح مسلم ،مج 1 ،باب الإيمان ،مطبعة المنصورة ،دط ،2006 .

21-محمد ناصر الدين الألباني :سلسلة الأحاديث الصحيحة ،ج3،مكتبة المعارف ،دط ،1 .995

22-لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني :شرح المعلقات العشر،ط1 ، دار الفكر ،بيروت ،لبنان ،1425هـ، 2005م.

ثالثا – مذكرات التخرج:

1-أوهرمش أوردية ،كميش حكيمة : توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية رواية الأرض والدم لمولود فرعون أنموذجا ،مذكرة لنيل شهادة ماستر في اللغة وآدابها ،تخصص أدب جزائري ،جامعة عبد الرحمان ميرة ،بجاية ،2013-2014 .

2- حسينة توام : اشتغال الموروث في روايتي (نوار اللوز ورمل الماية) لواسيني الأعرج ،مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي ،تخصص أدب جزائري ،جامعة الجيلالي بونعامة ،2015 – 2016 .

3- فتيحة غزالي : تجليات الصوفية في التجربة الروائية المعاصرة لسلام أحمد إدريسو ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي ،تخصص أدب عربي حديث ومعاصر ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة ،2017- 2018

رابعا – المجلات:

1- سليمان بن محمد اللهيميد : تفسير سورة الأنعام (فوائد ،منوعات ،فضائل ،أقوال) السعودية ،رفجاء ،مجلة رياض المتقين ، 4- 11 - 1434هـ .

2-شريف بموسى عبد القادر ،أمل رشيد : الطوطمية في روايات إبراهيم الكوني ، حيوان الودان أنموذجا ،مجلة المقاليد ،العدد 9 ،جامعة تلمسان الجزائر ،ديسمبر 2015 .

3- عبد الرحيم حمدان : توظيف الموروث الأدبي في شعر فوزي عيسى ،مجلة جامعة البحرين ،27-3 -2013 .

4- كريمة نوادرية،سعاد زدام : التراث الشعبي المفهوم والأقسام ،المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة ،الجزائر ،مجلة ميلاف للبحوث والدراسات ،العدد 5 ، جوان 2017.

خامسا – المقالات والمحاضرات والمواقع:

1- صالح مفقودة :أبحاث في الرواية العربية ،جامعة محمد خيضر بسكرة ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،قسم الأدب العربي ،منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري 2

2-محمد صاحبي : هاجس العودة إلى التراث ،روائيي الحداثة العرب ،الغيطاني أنموذجا.دط ،دت .
3- عبد الله بن صفية :أستاذ محاضر :دروس في مقياس السرديات العربية الحديثة والمعاصرة السنة الثالثة ليسانس ،دراسات أدبية ،تخصص أدب عربي ،السداسي الخامس ،جامعة محمد البشير الإبراهيمي ،برج بوعريريج ،2016-2017 .
4- محمد الجوهري : مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري ،ط1 ، دون دارالنشر ،.2006
5- عبد الله شطاح : مقال الأدب الصوفي ،الإشارة والعرفان ،جامعة الأغواط الجزائر .ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،بحث عن إبراهيم الكوني .
.Http://ar.wikipedia.org/wikicom

سادسا –قائمة المعاجم العربية :

1- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري : لسان العرب ،المجلد 14 ،فصل الألف إلى الضاد من حرف الواو والياء ،دط ،دت ،دار صادر ،بيروت .
2- إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ،دط ،الثلاثية الأولى ،تونس ،التعاضدية العمالية ،مؤسسة العربية لناشرين المتحدين ،1986.

سابعا – قائمة المعاجم الأجنبية:

1-روجرآلن :الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية ،ترجمة إبراهيم المنيف ،المجلس الأعلى للثقافة ،المشروع القومي للترجمة ،1997 .
2-جورج لوكاتش : نظرية الرواية وتطورها ،ترجمة نزيه الشوفي ،دط ،دمشق ، 1987 .
3-بياربونت ،وميشال إيزار وآخرون ،ترجمة مصباح الصمد ،معجم الأنثولوجيا والأنثروبولوجيا ،دط ،المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ،2006 .
4-كارين أرمستوونغ :تاريخ الأسطورة ،ترجمة قانصو ،ط1 ،دار العربية للعلوم ،بيروت ،1429 هـ،2009م
5-حضرة عنايات خان :تعاليم المتصوفين ،ترجمة إبراهيم استنبولي ،ط1 ،دار الفرقد ،سوريا ،دمشق ،كانون الأول ،2006.

الفهرس

العنوان
الصفحة
الشكر والتقدير
مقدمة
مدخل
الرواية لغة واصطلاحا 1-2
نشأة الرواية 3-4
الفصل الأول :في التراث وبواعث توظيفه
1-مفهوم التراث
أ- لغة.....6
ب- اصطلاحا 6
2-تعريف التراث في الفكر العربي الحديث.
أ- مفهوم التراث عند السلفيين.....7
ب- مفهوم التراث عند أصحاب الحداثة 8
ج-الموقف الجدلي.....8
3- بواعث توظيف التراث في الرواية..... 9
البواعث الفنية.....9
ج - الحركة الثقافية 10
4- تجليات التراث في الرواية العربية.....10
أ- التراث التاريخي.....13
ب- التراث الديني.....14
ج- التراث الأسطوري.....15
د - التراث الأدبي.....15
هـ -التراث الشعبي.....16
و- التراث الصوفي.....16
ز - التراث في الرواية الليبية.....17

الفصل الثاني : استدعاء التراث في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني

ملخص رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني.....19
أولا / التراث الأسطوري 20
1- أسطره الشخصية
أسطره اسوف.....21
أسطره قابيل 23
أسطره الطبيعة 29
اسطرة الحيوان 30
ثانيا/ التراث الديني.....34
ايات وسور قرانية 34
توظيف مفردات من القرآن الكريم 36
قصة قابيل وهابيل 40
توظيف الحديث النبوي الشريف.....41
ثالثا /التراث الصوفي 44
مصطلحات صوفية 44
الفرق الصوفية 45
النظرية الصوفية 46
رابعا/ التراث التاريخي. 48
خامسا / التراث الأدبي 50
سادسا/التراث الشعبي 52
الحكاية الشعبية 52
المثل الشعبي 53
المعتقدات الشعبية 55
الطقوس الشعبية 55
ب- السحر والشعوذة 56
الأولياء الصالحين 57

-4 .الصناعات التقليدية 57
المأكولات الشعبية 58
.الخاتمة 61
.الملحق 63
.قائمة المصادر والمراجع 66
.فهرس
.المحتويات
.ملخص.....74

ملخص

يقدم هذا البحث دراسة حول توظيف التراث في الأدب إبراهيم الكوني، من خلال روايته نزيف الحجر ،يحاول ضبط أبرز أنواع التراث الذي وظفه الكوني وظف التراث بقالبه وأسلوبه الخاص كما يراه هو مناسب لا كما يراه غيره ، مستلها من التراث مايخدم فكره ورؤاه ، واضعا نفسه "موضع الحكيم " الأمر الناهي صاحب القرارات والأحكام الصائبة والنهائية والحقيقة المطلقة

الكلمات المفتاحية : نزيف الحجر ،إبراهيم الكوني ،التراث

Résumé

Cette recherche présente une étude sur l'emploi du patrimoine dans la littérature, Ibrahim al-Kawni, à travers son roman Le saignement de la pierre, il essaie de contrôler les types de patrimoine les plus importants qu'al-Koni a employés. Le commandement interdit, le propriétaire des décisions et des jugements corrects et définitifs, et la vérité absolue.

Mots-clés : Pierre stagnant, Ibrahim Al-Koni, patrimoine